الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي – صالحي أحمد – النعامة

معهد العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية قسم: العلوم الإسلامية

عنوان المذكرة

المركز الجامعي - أحمد صالحي - النعامة
قسم العلوم الإسلامية
معهد العلوم الانسانية و الاجتماعية

حوار القرآن الكريم لأهل الكتاب دراسة أسلوبية بلاغية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في العلوم الإسلامية

(تخصص اللغة العربية والدراسات القرآنية)

إعداد الطالب:
موسى بوقرنافة

الأستاذ المشرف: د. ميلودي عادل
الأستاذ الخبير: بولنوار عبد الرزاق

رئيس اللجنة: الدكتور عثماني رشيد

المناقش: الدكتور زلاطي موسى

السنة الجامعية 2025/2024 م

1446/1445 هـ

الجمـــــهورية الـــــجزائرية الديمـــــقراطية الشـــــعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
المركز الجامعي صالحي أحمد – النعامـة
Uuiversity Centre Of Nâama

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

النعامة :...17..نوفمبر..2025

شهادة تصحيح مذكرة ماستر

يشهد الأستاذ (ة) : ميلودي عادل

بصفته : مشرف

الموسومة بحوار القران الكريم لأهل الكتاب دراسة أسلوبية بلاغية

من إعداد :

1 – الطالب: موسى بوقرنافة

تخصص : لغة عربية والدراسات القرآنية

تاريخ المناقشة: 2025/09/27

أن الطالب قد التزم بالملاحظات المقدمة له من قبل اللجنة ،وأن المذكرة قابلة للإيداع النهائي .

إمضاء الأستاذ(ة) المفوض (ة) بمتابعة التصحيح

أ. ميلودي عادل

رئيس القسم

رئيس قسم العلوم الإسلامية

أ.د. ربيعي الميلود

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
People'sDemocraticRepublic of Algeria
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministry of Higher Education and Scientific Research
المركز الجامعي صالحي احمد – النعامة
University Centre Of Nâama

معهد العلوم الإنسانية و الاجتماعية — النعامة في :

قسم العلوم الإسلامية

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث

أنا الممضي أسفله :

السيد(ة): موسى بوقرناته

الصفة (طالب – أستاذ – باحث)

الحامل(ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم :

الصادرة بتاريخ : 11 - 03 - 2021

المسجل (ة) بكلية /معهد : العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : علوم إسلامية

والمكلف (ة) بإنجاز مذكرة ماستر بعنوان :

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية في إنجاز البحث المذكور أعلاه

التاريخ : 17 / 11 / 2025

إمضاء المعني

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

شكر وتقدير الأول للمولى عز وجل على حلمه علينا ورعايته لنا فرادى وجماعات

ومن ثم إلى نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته الميامين رضي الله عنهم

الذين تحملوا عنا فتنة الدين والشهداء الأبرار والمجاهدين الأخيار الذين تحملوا عنا

فتنة الوطنية وأعادوا وطننا المفدى الى نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم، وإلى

أمي وأبي وجميع اساتذتنا ومشايخنا من الطفولة إلى اليوم.

كما اشكر كل من الأساتذة الذين كونونا طيلة هذا العام وكل من الخبير والمشرف

ورئيس القسم الأستاذ ربيعي ميلود على خدمته لطلبة الشريعة جزاهم الله

أجمعين خير جزاء.

إهداء

أهدي هذا العمل إلى أبي وجد أبي بوقرنافة عبد القادر الذي أطعم في سنوات ذات مسغبة وأمي وأبي وكل من علمنا حرفا من معلمين الكتاب منهم السيد طالب علال رحمه الله وإلى أستاذنا خلال كامل مسارنا التعليمي وإلى زملائها الذين درسنا معهم خلال هذا العام.

DESIGN-WAREZ.RU

مقدمة

مقدمة

إن القرآن الكريم، بصفته كلام الله المعجز والبيان الخالد، يمثل قمة البلاغة والفصاحة، فقد خاطب البشرية جمعاء على اختلاف أطيافها وعقائدها. ومن بين الفئات التي أولاها القرآن اهتمامًا خاصًا في خطابه هم **أهل الكتاب** من اليهود والنصارى. لقد جاء الخطاب القرآني إليهم بأسلوب فريد يجمع بين روعة البيان، وقوة الحجة، وجمال التعبير، مع مراعاة دقيقة لخصائصهم الفكرية والعقدية. هذا الحوار القرآني ليس مجرد سرد تاريخي، بل هو نسيج بلاغي محكم، يعكس المقاصد الإلهية في دعوة الخلق إلى الحق، وإقامة الحجة عليهم بالبينات والآيات. إنه دعوة متجددة للتأمل في عظمة هذا الكتاب، وكيفية تعامله مع الآخر، بأسلوب يمزج بين اللين والشدة، والترغيب والترهيب، والعتاب والود، كل ذلك في إطار من الحكمة البالغة والبيان الساحر.

لقد اعتمد القرآن الكريم في حواره مع أهل الكتاب على جملة من الأساليب البلاغية الراقية والمتنوعة، والتي أضفت على هذا الخطاب عمقًا وتأثيرًا فريدًا. لم يأتِ هذا الحوار بنبرة واحدة، بل جاء متقلبًا بين الاستفهام التقريري الذي يحفز على التفكير، والنداء الموجه الذي يستثير الانتباه، والقصص القرآني الذي يعرض العبر والمواعظ، والأمثال التي تُقرب المعاني وتُجسم الحقائق. هذه الأساليب لم تكن مجرد زينة لفظية، بل كانت أدوات بيانية فعالة تُسهم في إقامة الحجة، ودحض الشبهات، ودعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بالله ورسالاته. إن دراسة هذه الأساليب البلاغية في سياق حوار القرآن مع أهل الكتاب تكشف عن إعجاز القرآن في مخاطبة العقول والقلوب، وقدرته على تقديم الحقائق الكبرى ببيان آسِر يُلامس الفطرة السليمة ويُبهر أصحاب الذوق الرفيع. هذه الدراسة تسعى للكشف عن تلك الكنوز.

1. الإشكالية

يعد الحوار القرآني مع أهل الكتاب من أكثر الموضوعات القرآنية ثراءً وتنوعًا، فهو يمثل نموذجًا فريدًا لكيفية مخاطبة القرآن لأصحاب الديانات السماوية السابقة. لقد استخدم القرآن في هذا الحوار أرقى مستويات البلاغة والبيان، مستهدفًا إقامة الحجة، ودفع الشبهات، ودعوة هؤلاء القوم إلى الإيمان الحق. إن هذا الحوار ليس مجرد عرض لمسائل عقدية أو تاريخية، بل هو تجلٍ للإعجاز البياني للقرآن الكريم، الذي استطاع أن يخاطب عقول وقلوب أهل الكتاب بأساليب مختلفة ومقنعة. من هنا تبرز أهمية دراسة هذا الحوار من منظور أسلوبي بلاغي، للكشف عن الخصائص الجمالية والفنية التي وظفها القرآن لتحقيق أهدافه الدعوية والبيانية، وفهم كيف استطاع القرآن أن يتغلغل إلى وجدان المخاطبين، ويدعوهم إلى التفكر والتدبر، ويضع بين أيديهم البرهان والدليل الواضح.

فما الأساليب البلاغية التي اعتمدها القرآن الكريم في حواره مع أهل الكتاب، وكيف أسهمت هذه الأساليب في تحقيق المقاصد القرآنية من هذا الحوار؟

2. أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف الطموحة، منها:

- **الكشف عن الأبعاد البلاغية والجمالية** في حوار القرآن الكريم مع أهل الكتاب، وإبراز براعة الخطاب القرآني في معالجة القضايا المختلفة.
- **تحديد أبرز الأساليب البلاغية** (كالاستفهام، والنداء، والقصص، والمقارنة، والأمثال، وغيرها) التي وظفها القرآن في مخاطبة أهل الكتاب، وبيان دور كل أسلوب في إيصال المعنى.
- **توضيح كيف أسهمت هذه الأساليب** في إقامة الحجة على أهل الكتاب، ودحض مزاعمهم وشبهاتهم، ودعوتهم إلى قبول الإسلام.
- **إبراز الإعجاز البياني للقرآن الكريم** في تعامله مع فئة محددة من المخاطبين، وهم أهل الكتاب، وكيف استطاع أن يقدم خطابًا مقنعًا وملهمًا.

3. أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهمية بالغة من جوانب متعددة، تبرزها النقاط التالية:

- **الأهمية العلمية** :تُعد إضافة نوعية ، بتقديمها دراسة متعمقة ومتخصصة في بلاغة الحوار القرآني، وتفتح آفاقًا جديدة للبحث في مجال الدراسات القرآنية والبلاغية.
- **الأهمية المنهجية** :تُسهم في تعزيز تطبيقات المنهج الأسلوبي البلاغي في تحليل النصوص القرآنية، مما يُثري الأدوات المنهجية المتاحة للباحثين في هذا المجال.
- **الأهمية الدعوية والفكرية** :تُقدم رؤى قيمة حول أساليب الدعوة القرآنية، وكيفية مخاطبة الآخر المختلف، مما يمكن أن يُسهم في بناء جسور التفاهم والحوار الحضاري بين أتباع الديانات المختلفة في عالمنا المعاصر.
- **الأهمية اللغوية** :تُسلط الضوء على الثراء اللغوي والبلاغي للقرآن الكريم، وقدرته الفائقة على التعبير عن المعاني العميقة والحجج البالغة بأساليب متنوعة ومؤثرة تُلامس العقل والوجدان.

4. الصعوبات

لا يخلو أي عمل بحثي من تحديات، وقد واجهت هذه الدراسة بعض الصعوبات التي تم التعامل معها بعناية، ومن أبرزها:

- **تتبع النصوص القرآنية وتصنيفها** :تطلب جمع وتصنيف الآيات القرآنية التي تتناول حوار القرآن مع أهل الكتاب جهدًا دؤوبًا، نظرًا لتوزعها في سور ومواضع مختلفة من المصحف الشريف.
- **التمييز الدقيق بين الأساليب البلاغية** :تداخل بعض الأساليب البلاغية في النص القرآني، مما استلزم دقة متناهية في التحليل والتمييز والتصنيف لتحديد الأسلوب الأنسب للسياق.

5. المنهج المتبع

تعتمد هذه الدراسة على **المنهج الوصفي التحليلي**، وهو المنهج الأنسب لتحقيق أهدافها، وذلك من خلال الخطوات التالية:

1. **الوصفي** :حيث يتم وصف الآيات القرآنية التي تتناول حوار القرآن مع أهل الكتاب، وتحديد مواضع هذا الحوار وخصائصه العامة.
2. **التحليلي** :من خلال تحليل الأساليب البلاغية المستخدمة في هذه الآيات، والكشف عن دلالاتها ومقاصدها العميقة، وبيان أثرها في المتلقي من أهل الكتاب. سيتم ربط التحليل بالسياق القرآني العام، والاستعانة بكتب التفسير وعلوم القرآن والبلاغة العربية لإثراء الفهم والتحليل.

6. خطة الدراسة

لتحقيق أهداف هذه الدراسة والوصول إلى نتائج دقيقة وموثوقة، تم بناء الخطة المقترحة لتشمل فصلين: يليهما خاتمة جامعة للنتائج. ففي الفصل الأول: القرآن وأهل الكتاب، ارتأينا أن نستهل دراستنا بمدخل يُعرف القرآن الكريم لغة واصطلاحًا، ثم نتناول تاريخ تنزيله، لنسلط الضوء على السياق الزمني والرسالة الأصلية. بعد ذلك، ننتقل إلى التعريف بأهل الكتاب، مفصّلين تعريف اليهود والنصارى، لمعرفة الخلفية الدينية والتاريخية للمخاطَبين بالخطاب القرآني. أما الفصل الثاني: الأساليب البلاغية في الحوار القرآني لأهل الكتاب، فقد خصصناه لدراسة الأساليب البلاغية المستخدمة. في المبحث الأول، سنتناول الصور البيانية في الحوار القرآني لأهل الكتاب، مع التركيز على الصور البيانية في القرآن الكريم، وبالتحديد سورة يوسف كنموذج يُبرز جوانب الجمال البياني. وفي المبحث الثاني، سنتعمق في أساليب الخطاب القرآني، ثم ننتقل إلى الخطاب غير المباشر، وأخيرًا، تأتي الخاتمة لتكون خلاصة وافية.

الفصل الأول

القرآن وأهل الكتاب

تمهيد

القرآن الكريم، خاتم الكتب السماوية، هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يمثل المصدر الأساسي للتشريع والهداية في الإسلام. هو كتاب شامل، يتناول العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق، ويرسم منهج حياة متكاملة للإنسان.

ويُشكل أهل الكتاب (اليهود والنصارى) جماعة ذات أهمية خاصة في الخطاب القرآني، نظرًا لتلقيهم كتبًا سماوية سابقة (التوراة والإنجيل). يُخاطبهم القرآن بأساليب متعددة، منها الدعوة إلى الإيمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم وبالرسالة الخاتمة، وتصحيح بعض المفاهيم التي طرأت على عقائدهم أو كتبهم، وبيان ما اتفق عليه الجميع من أصول التوحيد والإيمان.

لم يأتِ القرآن ليُلغي الرسالات السابقة بالكلية، بل جاء مُصدّقًا لما بين يديه من الكتب ومهيمنًا عليها. هذا يعني أنه يُؤكد أصول التوحيد المشتركة، ويُبيّن التحريفات التي طرأت على بعض النصوص السابقة، ويُكمل التشريع ويُتمّم الدين. إن العلاقة بين القرآن وأهل الكتاب هي علاقة دعوة وتبيان، وليست علاقة إقصاء أو عداء، مع التأكيد على مسؤولية أهل الكتاب في الإيمان بالخاتم والرسالة الشاملة.

المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم.

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المعجزة الخالدة للإسلام، بدأ نزوله في ليلة مباركة من شهر رمضان، مفرقًا على قلب النبي، ليكون هداية للبشرية جمعاء.

المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحا.

تعريف القرآن لغةً

كلمة "**قرآن** "هي مصدر من الفعل "**قرأ يقرأ قراءة**"، وتفيد معنى **الجمع والضم** .يقال: "قرأ الشيء" أي جمعه وضم بعضه إلى بعضه.[1]

وبالرجوع إلى معاجم اللغة والتفاسير التي تهتم بمعاني القرآن، تبيّن أن هناك قولين: الأول: أن القرآن اسم عَلَم على كتاب الله ليس مشتقًا، والثاني: أنه مشتق من فعل مهموز؛ وهو: "قرأ، اقرأ"، ويعني: تفهّم، تفقه، تدبر، تعلم، تتبع، وقيل: تنسّك، تعبد، وقيل: "اقرأ": تحمّل؛ فالعرب تقول: (ما قرأتْ هذه الناقة في بطنها سَلًا قط؛ أي: ما حملت جنينًا قط)[2]؛ فالمعنى: تحمّل هذا القرآن؛ بقرينة قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ [المزمل: 5]، واستعن على تحمّل القول الثقيل بقيام الليل ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ [المزمل: 2]؛ وهو ما أمر به في أول السورة (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا). وقيل: من القَرْء، وهو الجمع والضم ...وقيل: من فعل غير مهموز (بدون همزة)، وهو "قرن"؛ من قرنتُ الشيء بالشيء، وهو القِران، وقيل: من القِرى (بكسر القاف)، وهو الضيافة والكرم أو الإكرام؛ ففي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وحَفَّت بِهِمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ))؛ رواه مسلم (2699). وعن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ هَذَا القُرْآنَ مَأْدُبَةُ اللهِ، فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَأْدُبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ))[3]؛ فيقال: مأدُبة بضم الدال وفتحها من الدال وفتحها من الأدب؛ قال القرطبي: (وتأويل الحديث أنه مثل؛ شبّه القرآن بصنيع صنعه الله عز وجل للناس، لهم فيه الخير والمنافع، ثم دعاهم إليه؛ يقال: مأدُبة ومأدَبة؛ فمن قال: مأدُبة، أراد الصنيع يصنعه الإنسان فيدعو إليه الناس، ومن قال: مأدَبة، فإنه يذهب به إلى الأدب، يجعله مفعلة من الأدب[4]

---

[1] لويس معلوف، المنجد في اللغة، دار الشروق، لبنان، 1976ص 616

[2] ابن منظور، لسان العرب، مادة "قرأ"، دار صادر – بيروت، ج 1، ص 128.

[3] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (رقم 1845)، وذكره ابن كثير في فضائل القرآن (ص 64).

[4] الزركشي، بدر الدين .البرهان في علوم القرآن .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1957. ج1، ص 249-251

تلك بعض معاني "اقرأ" التي قال عنها أهل العلم) :عنوان القرآن(، وأول ما نزل من الوحي ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: 1).

التعريف بالقرآن الكريم في الاصطلاح

أما معنى القرآن اصطلاحًا فهو **كلام رب العالمين** الذي نزل به الروح الأمين (جبريل عليه السلام) على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الناس أجمعين. [1]

وقد عرّف **محمد علي الصابوني** القرآن بأنه: "كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه الصلاة والسلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس."[2]

أما التعريف الذي اتفق عليه الأصوليون والفقهاء وعلماء العربية للقرآن فهو: "الكلام المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته"[3]

_ هو" كلامُ اللهِ تعالى المُنزَّل على نبيه مُحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، المُعْجِز بلفْظه ومعناه، المُتعبَّدُ بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أَوَّلِ سورة الفاتحة إلى آخِرِ سورة الناس"، وهو التعريف المختار[4].

بيان المفردات

"كلام"

أي :كلامُ الله تعالى اللفظيُّ، وهو اختيار الفقهاء، وليس المُرادُ به الكلامَ النفسيَّ كما يقول المُتَكلِّمون والفلاسِفَةُ؛ فالله تعالى متكلمٌ بكلام؛ لقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ (النساء: 164)[5]

"الله"

اسمُ عَلَمٍ على الإله المعبود بحقٍّ، غيرُ مُشْتقٍّ، وقيل: مشتقٌّ من (وَلِهَ)؛ أيْ: تحيَّر، وقيل: من (أَلَهَ)؛ أيْ: تنسَّك وتعبَّد، فهو المأْلوهُ الذي تُؤلِّهه القلوبُ حبًّا وتعظيمًا، وإنابةً وخوفًا ورجاءً، وتوكُّلًا واستعانةً، واستغاثةً واستعاذةً؛ وقيل: من (لاه)؛ أي: تعالى وسما؛ منَ السُّمُوِّ والارتفاع[6].

[1] صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن،دار العلم للملايين، لبنان ج 1، 1977 ص 144.
[2] محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار الصابوني، دمشق، 1978 ص 8.
[3] صبحي الصالح، مرجع سابق، ص22.
[4] الطبري، محمد بن جرير .جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري -تحقيق محمود شاكر. القاهرة: دار المعارف، 2000، ص233
[5] القطان، مناع .مباحث في علوم القرآن .القاهرة: مكتبة وهبة، 2000. ص 15-16
[6] ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. بيروت: دار صادر، الطبعة الأولى، 1990م، ص105.

ومن خصائص هذا الاسم الأعظم: أنه **لم يُسَمَّ به أحدٌ غيرُ الله**، وأنه **أصلٌ لكلِّ الأسماء الحُسنى وإليه مَرْجِعُها**؛ فيُقال: (الرحمن، الرحيم، القُدُّوس، السلام، العزيز، الحكيم) من أسماء الله عز وجل، ولا يُقالُ: (اللهُ) من أسماء الرحيم، ولا من أسماء العزيز، ونحو ذلك[1].

ومن خصائصه: أنه **لا يَقبل التثنيةَ ولا الجمع، والألفُ واللامُ أصليَّتانِ وليستا للتعريف**؛ فكلُّ حرفٍ فيه أصليٌّ؛ بحيث لو حُذف حرفٌ واحدٌ لتغيَّر المعنى؛ مثل كلمةِ (لا إله إلا الله) مكوَّنةٌ من أربعةِ أجزاءٍ، لكنْ لا يُقال إلا "كلمة"؛ كقولِنا: كلمةُ التَّوحيد، والكلمة الباقية؛ لأن كلَّ جزءٍ منها أصلٌ فيها، وكذا كلُّ حرفٍ في لفظة (الله)، ولا يصحُّ الذِّكرُ ولا التعبدُ بقول: "الله الله الله..."؛ وإنما يكونُ الذكرُ بقول: "لا إله إلا الله"، وهو أفضلُ الذكرِ؛ لِما ورد في الحديثِ عن جَابرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عنهما قال: قال رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ: الحَمْدُ لِلهِ))[2]؛ كما لا يصحُّ قولُ: "يا أله" إلا إذا تبِع النداءَ دعاءٌ.[3]

"المُنزَّل"

وللقرآن ثلاثةُ تنزُّلاتٍ:

1. **ثُبُوتُه في اللوحِ المحفوظ.**
2. **نزوله جملةً واحدةً ليلةَ القدْر.**
3. **نزولُه مُنجَّمًا مُفرَّقًا قِطعًا قِطعًا في ثلاثةٍ وعشرين عامًا**[4].

وفي القرآن ما يشيرُ إلى ذلك؛ فكلمة) **أُنزل** (في القرآن تنصرف إلى الإنزال جملةً واحدة، وكلمة) **نزَّل** (تنصرف إلى إنزاله مُنجَّمًا؛ فقولُه تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: 1]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان: 3] – يشيران إلى الإنزال جملةً واحدة، وقولُه تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: 1]، وقولُه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف: 1] – يشيران إلى التنزيل مُنجَّمًا[5].

وفي القرآن – أيضًا – ما يشير إلى التنْجيمِ؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ [النجم: 1]؛ أي: القرآنِ إذا نزل؛ بقرينةِ قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

[1] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 1، ص 102.
[2] رواه الترمذي وحسَّنه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1497)،
[3] النووي، يحيى بن شرف .شرح صحيح مسلم .بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1972. ج 18، ص 106-107
[4] الزرقاني، محمد عبد العظيم .مناهل العرفان في علوم القرآن .القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1963. ج1، ص 65
[5] السيوطي، جلال الدين .الإتقان في علوم القرآن .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974. ج1، ص 41

يُوحَى﴾ [النجم: 2 – 4]؛ وقولِه: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [الواقعة: 75]؛ أي: نجومِ القرآن؛ بقرينةِ أن المقسَمَ عليه هو القرآنُ الكريم: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: 77].

"نبيه محمد صلى الله عليه وسلم"

هو الذي اصطفاه ربُّه وصنعه على عَيْنِه، وعصمه، وعصم نَسَبَه، وزكَّاه، ونبَّأَه بـ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: 1] ثلاثَ سنواتٍ، ثم أرسَله بـ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: 2]؛ فكان نبيًّا رسولًا، كما زكَّى بلده (مكةَ أمَّ القُرى)، وزكَّى لُغته، وزكَّى قرْنه (خير القرون)، وزكَّى خلفاءه وصحابتَه رضي الله عنهم.

"المعجِز"

والمعجزةُ فعلٌ من أفعالِ الله تعالى الخارقةِ، يُجْريه الله تعالى على يدِ مُدَّعٍ للنبوة حالَ دعواه تصديقًا لدعْوته؛ والقرآن الكريم هو المعجزةُ التي أيَّد الله تعالى بها نبيَّه، وتحدَّى به العربَ في مكةَ؛ تحداهم أن يأتوا بمثله: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: 88]، وتحداهم بعشر سور: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: 13]، وتحداهم بسورة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: 38]، ثم كان التحدي "بسورة من مثله" في قوله تعالى :﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾]البقرة: 23، 24]؛ كما تحدى أهل الكتاب في المدينة، ولا يزالُ التحدي قائمًا إلى يومِ الدين؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَفْعَلُواْ﴾ (البقرة: 24)[1]

"المنقول إلينا بالتواتر"

عن جبريلَ عنِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عن الصَّحابة، حتى أمَر بجمعه أبو بكرٍ رضي الله عنه بعدَ حروب الرِّدَّة، لمَّا قال له عمرُ رضي الله عنه: (لقدِ اسْتحرَّ القتلُ بالقرَّاء، فلو أمرتَ بجمع القرآن...)؛ وحتى جمَع عثمان رضي الله عنه الناسَ على مصحفٍ واحدٍ، بلغة واحدة، ولهجة واحدة، حيث قد انتهت أسبابُ ومبرِّرات قراءةِ القرآن على سبعة أحرفٍ، والله تعالى أعلى وأعلم وأجلُّ[2].

[1] الخطابي، أبو سليمان .بيان إعجاز القرآن .تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام. القاهرة: دار المعارف، 1953. ص 45

[2] الزرقاني، محمد عبد العظيم .مناهل العرفان في علوم القرآن .القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، 1963. ج1، ص 241

على الرغم من اختلاف العلماء في أصل لفظ القرآن واشتقاقه، فإن الخلاصة من تلك التعريفات المذكورة أنه كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصحف، لهداية الناس أجمعين من أول سورة الفاتحة إلى سورة الناس.

أسماء القرآن المتعددة

للقرآن أسماء متعددة وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، منها:

الكتاب :لقوله تعالى: لقد أنزلنا إليكم كتابًا فيه ذكركم أفلا تعقلون (سورة الأنبياء: الآية 10).

الفرقان :لقوله تعالى: تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا (سورة الفرقان: الآية1)

الذكر :لقوله سبحانه وتعالى: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (سورة الحجر: الآية 9).

التنزيل :لقوله تعالى: وإنه لتنزيل رب العالمين (سورة الشعراء: الآية 192).

وقد قال الدكتور محمد عبد الله الرازي: "روعي في تسميته قرآنًا كونه متلوًا بالألسنة، كما روعي في تسميته كتابًا لكونه مدونًا بالأقلام، فكلتا التسميتين من تسمية شيء بالمعنى الواقع عليه." [1]

المطلب الثاني: تاريخ التنزيل

تُطلق كلمة "**نزل** "في اللغة ويراد بها الحلول في مكان والإيواء به، كقولهم: نزل الأمير المدينة. ومنه قوله تعالى(رَبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) (سورة المؤمنون: الآية 29). كما يراد بها أيضًا انحدار الشيء من علو إلى أسفل، نحو: نزل فلان من جبل [2]

القرآن الكريم تحدث عن زمن النزول وكيفيته، فأوضح أن القرآن نزل في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، جاء ذلك في قوله تعالى(شهر رمضان الذي أُنزِلَ فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان) سورة البقرة، الآية 185.

ثم بيَّن الليلة التي نزل فيها القرآن، فقال (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ * فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ) سورة الدخان الآيتين 3و4 وبيَّن هذه الليلة المباركة بقوله : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) .سورة القدر الآية 1. وهكذا يوضح القرآن أنه نزل ليلاً في ليلة القدر على النبي الأمين محمد (صلى الله عليه وآله) في شهر رمضان المبارك.

[1] عبد الله دراز، *النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن الكريم*، دار القلم – الكويت، 1970، ص 18.

[2] عدنان محمد زرزور، علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه، المكتب الإسلامي، بيروت، 1974 ص 69.

وفي موضع آخر تحدث عن كيفية نزول القرآن وتنزيله من قبل الله تعالى على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، قال سبحانه :(وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ)سورة الشورى، الآية 51.

وقال تعالى :(فإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) سورة القيامة، الآية 18.

وقال تعالى :(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً) سورة الإسراء، الآية 106.

وقال تعالى :(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً) . سورة الفرقان، الآية 32.

أنزل الله القرآن من **اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا**، ومن السماء الدنيا إلى الأرض بوسيلة الأمين **جبريل عليه السلام**، لقوله عز وجل(نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ) (سورة الشعراء: الآيات 193-195). وعلى هذا اتفق العلماء، ولكنهم اختلفوا في كيفية نزوله من اللوح المحفوظ، وكان الاختلاف على ثلاثة أقوال:

أقوال العلماء في كيفية نزول القرآن من اللوح المحفوظ:

1. **القول الأول (الأصح والأكثر):** أنه نزل إلى السماء الدنيا في **ليلة القدر جملة واحدة**، ثم بعد ذلك نزل **مُنَجَّمًا** (متفرقًا) في عشرين سنة، أو في ثلاث وعشرين، أو خمس وعشرين، على حسب الاختلاف في مدة إقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد النبوة. وعلى هذا القول قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث رواه الحاكم في مستدركه من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: "أنزل القرآن في ليلة واحدة إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك بعشرين سنة". ثم قرأ (ابن عباس) قول الله تعالى :(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (سورة الفرقان: الآية 33)، وقوله :(وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا) (سورة الإسراء: الآية 106)
2. **القول الثاني** :أنه نزل إلى السماء الدنيا في **عشرين ليلة قدر من عشرين سنة**، وقيل في ثلاث وعشرين ليلة قدر من ثلاث وعشرين سنة، وقيل في خمس وعشرين ليلة قدر من خمس وعشرين سنة، في كل ليلة ما يقدر الله سبحانه إنزاله بكل سنة، ثم ينزل بعد ذلك مُنَجَّمًا في جميع السنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

3. **القول الثالث** :أنه ابتدئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك مُنَجَّمًا في أوقات مختلفة من سائر الأوقات. و**الشعبي** هو الذي اعتمد على هذا القول[1]

يُعتبر **القول الأول هو الأصح** وإليه ذهب الأكثرون. وقد نزل القرآن الكريم في **شهر رمضان** على الإطلاق، لقوله عز من قائل (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) (سورة البقرة: الآية 185). وقال أيضًا :(إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ) (سورة القدر: الآية 1). وليلة القدر هي في شهر رمضان، إذ دلت الأحاديث الصحيحة على كون ليلة القدر في شهر رمضان.

أخرج الحافظ **أبو بكر البيهقي** أحمد بن حسين بن علي بن عبدالله البيهقي الشافعي الفقيه، ولد سنة 384 هـ وتوفي سنة 458 هـ) في كتاب (الأسماء والصفات) من حديث السدي (إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذؤيب السدي، من مفسري التابعين، توفي بالكوفة سنة 127 هـ) عن محمد بن أبي المجالد (محمد بن أبي المجالد الكوفي، مولى عبد الله بن أبي أوفى) عن مقسم (مقسم بن بجرة أبو القاسم، توفي سنة 101 هـ) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سأله عطية بن الأسود (عطية بن الأسود اليمامي، من أمراء الخوارج، توفي سنة 75 هـ) فقال: "إنه قد وقع في قلبي الشك في قوله الله عز وجل : شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ (وقوله) :إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (وقوله سبحانه وتعالى : (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ)وقد أنزل في شوال وذي القعدة وذي الحجة... يعني وغير ذلك من الأشهر. فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه أنزل في رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة **جملة واحدة** ثم أنزل بعد ذلك على مواقع النجوم **رُسلًا**)متفرقًا) في الشهور والأيام." [2]

الحكمة من نزول القرآن مُنَجَّمًا (متفرقًا)

القرآن لم ينزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جملة واحدة وإنما نزل **مُنَجَّمًا**، كما قال الله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) (سورة الفرقان: الآيتان 32-33)

في الآيتين الكريمتين إشارة إلى كون نزول القرآن **مفرقًا أي مُنَجَّمًا**، لأن اليهود حين رأوا نزول القرآن مفرقًا سألوا: هل أنزل عليه القرآن جملة واحدة كما كانت التوراة والإنجيل والزبور؟ فقال تعالى: "كذلك" أي أنزلناه مفرقًا أو مُنَجَّمًا "لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلًا، ولا يأتونك إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرًا." [3]

وهنا الحكم الكثيرة العظيمة في كون نزول القرآن مُنَجَّمًا، ومنها:

[1] جلال الدين السيوطي الشافعي، الإتقان في علوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974 ص 118.
[2] شهاب الدين عبد الرحمن، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2003 ص 33.
[3] أحمد بن محمد طاحون، مع القرآن الكريم، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، 1986 ص 18.

1. **تثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم** :أمام أذى المشركين، لقوله تعالى : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (سورة الفرقان: الآية 32)

2. **المراعاة والتيسير للنبي صلى الله عليه وسلم عند نزوله** :والقرآن كان شيئًا عظيم الشأن كما قال الله جل وعلا :(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) (سورة المزمل: الآية 5). ولذلك نزل مُنَجَّمًا لتكون بين الإنزالات الفرصة للتلطف للنبي.

3. **تسهيل حفظه على الرسول والمؤمنين** :فقد اختار الله تعالى تنزيله على هذا الوجه ليسهل على الناس حفظه، وإذا كان الله قد تكفل لرسوله بحفظه (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ) (سورة الأعلى: الآية 6)، فإن أفراد المسلمين كانوا بحاجة إلى أن يعطوا فرصة تمكنهم من حفظه في الصدور وهو الحفظ.

4. التربية من خلال الوقائع :وربط الأمور بأسبابها ومسبباتها، وهذا أدعى إلى بيان مدى "الواقعية" في هذا الدين، وأن أحكامه أحكام عملية لا نظرية. وأدعى من وجه آخر إلى الفهم والتذكر والمسارعة في التنفيذ. قال تبارك وتعالى :(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ الْعَفْوَ) (سورة البقرة: الآية 219)، (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (سورة الإسراء: الآية 85). وهذه كلها تشير إلى تسريع الفهم في الآية حسب الوقائع التي حدثت

5. **التدرج في التشريع** :وذلك في الأمور المتمكنة من الأفراد وفي المجتمع بحيث يصعب اجتثاثها أو قلعها مرة واحدة، أي إن تخلي المجتمع عن مفاسده وشروره تم بواسطة هذا التدرج، وبعمق لم يشهد التاريخ أو الواقع مثيلًا له.[1]

أول وآخر ما نزل من القرآن الكريم

- **أول ما نزل من القرآن على الإطلاق** :خمس آيات من **سورة العلق** .والأحاديث التي تؤيد هذا القول كثيرة، ومنها حديث رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها وصححه الحاكم في مستدركه عن عائشة أنها قالت: "أول سورة نزلت من القرآن :(اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (سورة العلق: الآية 1).
- **آخر ما نزل من القرآن على الإطلاق** :وقد وردت أقوال كثيرة، وأصحها أن آخر ما نزل من القرآن هو قوله تعالى سورة البقرة

(وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُون) (سورة البقرة: الآية

[1] عدنان محمد زرزور، مرجع سابق، ص77_78

281). والدليل على ذلك ما أخرجه النسائي من طريق عكرمة أنه قال: "آخر القرآن نزولًا :)وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ)

وحصيلة ما يستفاد من هذه الآيات المباركة:

1. أن القرآن نزل وحياً من رب العزة، وبصورة قراءة، نزل به جبريل على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وليس مكتوباً بصحف أو ألواح، كما نزلت الكتب الإلهية الأخرى.
2. أن النزول بدأ في ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، كما نزلت الكتب الإلهية التوراة والإنجيل والزبور في هذا الشهر المبارك، كما تفيد الروايات ذلك.
3. أن القرآن نزل مفرقاً على شكل آيات أو سور أحياناً، ولم ينزل بصورته الكاملة على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) دفعة واحدة، ويتضح ذلك من قوله تعالى :(لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ونزلنه تَنْزِيلاً)سورة الإسراء 106 أي بيَّناه وفَرَّقناه تفريقاً، [1]

المبحث الثاني: التعريف بأهل الكتاب.

يُطلق مصطلح أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة النبوية على أتباع الديانات السماوية السابقة للإسلام، وهم تحديدًا اليهود والنصارى .لقد أنزل الله عليهم كتبًا سماوية كالتوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، وكانت هذه الكتب تحمل في أصولها دعوة إلى توحيد الله وعبادته، وتبشر بقدوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول: تعريف اليهود.

لغةً:

كلمة "**يهود** "لغةً تعني: الرجوع إلى الحق والتوبة. يقال" :**هاد يهود** "أي تاب ورجع إلى ملة الحق. وتأتي أيضًا بمعنى :**الخضوع واللين، وما يرجى به الصلاح.**

و**التهويد** يعني: الترجيع بالصوت في لين، والتطريب، والإلهاء، والمشي، والروید، وإسكار الشراب (صوت الجمل)، وتجاوب الجنوب في الليل. ويأتي أيضًا بمعنى: الصوت الضعيف في المشي الهارب، والإبطاء في السير، والسكون في النطق.

أما **المهاودة والتهاود** فتعنيان: المواعدة، والملاينة، والمصالحة، والمعاهدة، والموادة.

[1] أبو الوفاء أحمد عبد الآخر، المختار من علوم القرآن، دار اللؤلؤة، القاهرة، ج 1، 2000 ص 44.

و**هوَّد** تعني: صار يهوديًا، أو تصلَّب برجِم أو حِرمة.

و**تهوَّد** أيضًا تعني: أكل السنام.

ويهودا هو: أخو يوسف الصدّيق عليهما السلام[1]

اصطلاحًا:

يقول سميث: إن في اليهودية ثلاث معالم جغرافية ذات أهمية كبيرة: طبيعتها الرعوية، مجاورتها للصحراء، وعدم ملاءمتها لقيام مدينة كبيرة.

فاليهود هم الذين يزعمون أنهم أتباع موسى عليه السلام. وقد وردت تسميتهم في القرآن الكريم بـ "قوم موسى"، و""بني إسرائيل"" نسبة إلى يعقوب عليه السلام، وكذلك "أهل الكتاب"، و""اليهود". ويلاحظ أن هذه التسمية الأخيرة – اليهود – لم تُذكر إلا في مواطن الذم.[2]

اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة؛ ليكون لهم نبيًّا.واليهودية ديانة يبدو أنها منسوبة إلى يهود الشعب، وهذه بدورها قد اختلف في أصلها، وقد تكون نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب، وعممت على سميت اليهودية بذلك نسبة إلى اليهود، وقد تعددت أسباب تسمية اليهود بهذا الاسم؛ فقيل في ذلك أقوال منها:

1–أنهم سموا يهوداً نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، الذي ينتمي إليه بنو إسرائيل الذين بعث فيهم موسى عليه السلام فقلبت العرب الذال دالاً.

[1] مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 1، 2005 ص 329.

[2] سعود بن عبد العزيز الخلف، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، 1425 هـ / 2004 م، ج 1، ص 45-46.

2-نسبة إلى الهَوَد: وهو التوبة، والرجوع، وذلك نسبة إلى قول موسى عليه السلام لربه :إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ (الأعراف 156) أي: تبنا ورجعنا إليك يا ربنا.

3- نسبة إلى التقرب والعمل الصالح، قال زهير بن أبي سلمى:

سوى رَبَعٍ لم يأتِ فيه مخافةً ولا رهقاً من عابد متهود

فالمتهود: المتقرب، والتهود: العمل الصالح

4-من الهوادة، وهي المودة، فكأنهم سموا بذلك؛ لمودة بعضهم بعضاً[1].

- **العبري** :صارت كلمة "عبري" مرادفة لابن الصحراء أو البادية بوجه عام. لذلك فإن نعت إبراهيم الخليل (عليه السلام) بـ"العبراني"، كما ورد في التوراة، إنما أُريد به معنى العبريين "**العبيرو** "وهم القبائل العربية، ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل (عليه السلام) نفسه[2]
- **بنو إسرائيل** :و"إسرائيل" هو يعقوب حفيد إبراهيم الخليل، وأُطلق لفظ "بني إسرائيل" على أولاد يعقوب. وقد عاشوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد، واستمرت هذه التسمية لمدة ألف وأربعمائة سنة. ولغتهم هي الآرامية، وهي نفس اللغة التي يتكلم بها الكنعانيون والعموريون في فلسطين. وقد اندمج بنو إسرائيل بالمصريين بعد هجرة يعقوب وأولاده إلى مصر لينضموا إلى يوسف، فاختفى ذكرهم ولم يظهر لهم أثر تاريخي قبل ظهور موسى.

تُعرف اليهودية على أنها إحدى الديانات السماوية، و"اليهودية" اسم يُطلق على ديانة بني إسرائيل وقد نزلت هذه الديانة على النبي موسى عليه السلام[3].

ساهمت أجيال عديدة في تطوير وتكوين فكر وشريعة وطقوس هذه الديانة، إذ يتدخل الدين في كل صغيرة وكبيرة من شؤون حياة الفرد اليهودي، ويحدد مساره في حياته العامة والخاصة، ويوضح له طريق معاملاته مع أبناء ديانته ومع غيرهم.

إن "**اليهودية (Judaism)** "كمصطلح في المفهوم اليهودي يشير إلى عقيدتهم ويعبر عنه بكلمة "**توراة** ."وتشير الدراسات التاريخية أن هذا المصطلح "اليهودية" قد ظهر أثناء **العصر الهيليني** للإشارة إلى ممارسات اليهود الدينية لتمييزها عن عبادات جيرانهم. يرجع المؤرخون يوحي هذا المصطلح إلى المؤرخ اليهودي **يوسيفوس فلافيوس** ليشير إلى العقيدة التي يتبعها أولئك الذين يعيشون في مقاطعة "**يهودا** "مقابل

[1] لحمد، محمد. رسائل في الأديان والفرق والمذاهب. دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. 2015. (ص 63-64).
[2] سعدون محمود السموك، مقارنة الأديان، دار وائل، الأردن، الطبعة الأولى، 2008 ص 45.
[3] المالكي، محمد بن عيسى بن إسماعيل. المذاهب والديانات في ميزان الإسلام. الرياض: دار الوطن للنشر، 1999.ص18

"**الهيلينية** "أي عقيدة أهل "**هيلاس** .**(Hellas)** "وهكذا بدأ المصطلحان كتسمية للمقيمين في منطقة جغرافية ثم أصبحا يشيران إلى عقيدتهم. أما الأصل العبري لكلمة "**يهدوت**"، فيعود إلى العصور الوسطى [1]

مع مرور الزمن، أصبحت كلمتا "يهودية" و"توراة" كلمتين مترادفتين، ولكن ثمة اختلافات دقيقة بينهما، فمصطلح "**اليهودية**" **يؤكد الجانب البشري**، بينما يؤكد مصطلح "**التوراة**" **الجانب الإلهي** .ولذا يمكن الحديث عن "اليهودية العلمانية" بينما يصعب الحديث عن "التوراة العلمانية."

وأصبح المصطلح الشائع اليوم في العالم الغربي هو "**اليهودية**"، أما مصطلح "توراة" فقد اختفى تقريبًا إلا بين المتخصصين والأرثوذكس.

وتشير كلمة "**التوراة** "إلى الجوانب الثابتة اللازمنية في الديانة، ويُستخدم مصطلح "**يهودية** "للإشارة إلى الجوانب التاريخية المُتغيرة وإلى تفاعل اليهودية مع الحضارات الأخرى.

ومن هنا، يمكن الحديث عن "اليهودية الحاخامية" و"اليهودية الهيلينية"، ولا يمكن الحديث عن "التوراة الحاخامية" مثلًا. ويرى دارسو اليهودية أن إطلاق مصطلح "يهودية" على تلك المرحلة من تاريخ اليهودية التي تسبق تدوين العهد القديم يتضمن تناقضًا تاريخيًا، فهي مرحلة سديمية لم تكن قد تشكلت فيها بعد معالم اليهودية، ولم يكن العبرانيون فيها قد صاروا يهودًا. ولذلك يُطلق على تلك المرحلة "مرحلة عبادة إسرائيل"، ثم "العبادة القربانية المركزية" بعد تأسيس الهيكل.

تشير أدبيات جماعة "**الناطوريكارتا** "إلى "**يهودية التوراة (Torah Judaism)** "بمعنى "**اليهودية الأصلية** "أو "**اليهودية الأرثوذكسية** ."وهم يفضلون استخدام مصطلحهم لأنه قد وُلد من داخل المنظومة اليهودية، على عكس كلمة "أرثوذكسية" ذات النكهة المسيحية[2]

وقد أُطلقت تسمية "**اليهود** "على بقايا جماعة يهوذا الذين رحَّلهم **نبوخذ نصر** إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد نسبة إلى مملكة يهوذا المنقرضة. وقد اقتبس هؤلاء، قبيل الترحيل البابلي لهجتهم العبرية المقتبسة من الآرامية وبها دونوا التوراة، أي بعد زمن موسى بثلاثمائة عام، لذلك صارت تعرف هذه اللهجة **بآرامية التوراة**، وهي بلا شك غير الشريعة التي نزلت على موسى[3]

وكخلاصة اليهودية هي ديانة توحيدية قديمة، تُعد من أقدم الديانات الإبراهيمية، وتتمحور حول عبادة إله واحد. يعتقد اليهود أن الله أقام عهدًا مع إبراهيم ونسله، وأن موسى عليه السلام هو أهم الأنبياء الذي تلقى التوراة (الوصايا والقوانين الإلهية). تقوم اليهودية على مجموعة من النصوص المقدسة، أبرزها التوراة والتلمود،

[1] عبد الوهاب المسيري، الموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق، 1999، مج 5، ص 469.
[2] المرجع نفسه ص 471.
[3] عبد الوهاب المسيري، مرجع سابق، ص47.

وتتمثل ممارساتها في الالتزام بالوصايا الدينية، والاحتفال بالأعياد، واتباع الشرائع الغذائية، والصلاة في المعابد. ترتبط اليهودية ارتباطًا وثيقًا بالتاريخ والثقافة والتراث اليهودي كشعب.

المطلب الثاني: تعريف النصارى

النصرانية لغة: قيل: نسبة إلى نصرانة، وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل، وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية، والنسبة إلى الديانة نصراني، وجمعه نصارى[1].

النصرانية اصطلاحاً: هي دين النصارى الذين يزعمون أنهم يتبعون المسيح عليه السلام، وكتابهم الإنجيل. هي الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه الصلاة والسلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه الصلاة والسلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، موجهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهاداً شديداً، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيراً عن أصولها الأولى؛ لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية.

تطلق النصرانية على الدين المنزل من الله تعالى على عيسى عليه السلام، وكتابه الإنجيل وأتباعها يقال لهم: (النصارى) نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين، وهي التي ولد فيها المسيح.

أو إشارة إلى صفة: وهي نصرهم لعيسى عليه السلام، وتناصرهم فيما بينهم. وهذا يخص المؤمنين منهم في أول الأمر، ثم أطلق عليهم كلهم على وجه التغليب. ويشهد لذلك قوله تعالى :قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ الله (آل عمران الآية 52)[2]

السياق القرآني لاستخدام مصطلح "النصارى":

القرآن الكريم يستخدم مصطلح "النصارى" في مواضع عديدة للدلالة على أتباع عيسى عليه السلام، ويقابلها أحيانًا بـ "اليهود" أو "الذين أشركوا:"

[1] ويس معلوف، المنجد في اللغة، مرجع سابق، ص 616

[2] ناصر العقل وناصر القفاري، الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى، 1413 هـ / 1992 م، ص 64.

- (وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَ تْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْ تَلِفُونَ) (سورة البقرة: الآية 113)
- (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ هُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (سورة المائدة: الآية 51)
- (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَ نُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) (سورة المائدة: الآية 82)[1].

أطوار نشأة النصرانية وتحريفها

مرت النصرانية بأطوار عديدة ومختلفة، تعرضت فيها للاضطهاد بشكل كبير، ويمكننا تقسيم نشأتها إلى أربعة أطوار رئيسية.

الطور الأول: عهد عيسى عليه السلام

في عهد عيسى عليه السلام، كانت النصرانية على دين الله الحق، الذي يدعو إلى التوحيد الخالص. بعدما رفع الله تعالى عيسى عليه السلام، بقي عدد من أتباعه وأنصاره على الحق لمدة وجيزة. خلال هذه الفترة، كان اليهود الذين لم يؤمنوا بعيسى عليه السلام يطاردونهم ويقتلونهم ويشُون بهم لدى السلطات الحاكمة.

الطور الثاني: استمرار اضطهاد اليهود وتشويه المعالم

استمر اضطهاد اليهود للمسيحيين الأوائل قرابة نصف قرن بعد رفع المسيح عليه السلام. أدى هذا الاضطهاد إلى كتمان العلم واندراس العديد من معالم النصرانية الأصلية.

الطور الثالث: عهد كتابة الأناجيل المبتدعة والتخبط العقدي

يبدأ هذا الطور في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وهو العهد الذي بدأت فيه كتابة الأناجيل المبتدعة. هذه الأناجيل كانت عبارة عن اجتهادات لم تُسمع من عيسى عليه السلام مشافهة، وبعضها كان من دس اليهود. استمر هذا الطور لأكثر من ثلاثة قرون، عاشت فيه النصرانية في تخبط وافتراق، وتأثرت بالفلسفات والآراء والطقوس الوثنية السائدة آنذاك. إضافة إلى ذلك، لعب اليهود دورًا في هذه الفترة من خلال دس التحريف، وإشاعة الفرقة والاختلاف العقدي والمذهبي بين صفوف أتباع النصرانية. كما فقد النص

[1] طاحون، أحمد بن محمد .مع القرآن الكريم .رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية. 1998 م. ص 18.

الصحيح للإنجيل خلال هذه الفترة، وكثرت الأناجيل لدرجة يصعب معها الاهتداء إلى نص الإنجيل الثابت الأصلي[1].

الطور الرابع: مجمع نيقية وترسيخ عقيدة التثليث

يبدأ هذا الطور بالتجمع النصراني الكبير الذي عقده قسطنطين ملك الرومان في نيقية عام 325م. كان هذا التجمع حاسمًا، حيث قرر فيه مبتدعة النصارى الاتجاه نحو النصرانية الضالة، والتي أصبحت مزيجًا من الوثنية الرومانية السائدة آنذاك، ومن اليهودية المنحرفة، وبقايا النصرانية المشوشة، والديانات الوثنية الهندية. وفي هذا المجمع، ترسخت عند النصارى عقيدة التثليث الوثنية، وهو اعتقاد أن الله ثالث ثلاثة.

مما يجدر ذكره في نشأة الديانة النصرانية المحرفة، أنها تأثرت ببولس (شاول) اليهودي الذي اعتنق المسيحية عام 38م، أي بعد رفع المسيح، بهدف إفسادها. استطاع بولس أن يغير اتجاهها، ويسير بها نحو التثليث. كان بولس عدوًا لدودًا للمسيحيين ويضطهدهم قبل اعتناقه الظاهر للمسيحية، وقد حكى ذلك عن نفسه في سفر أعمال الرسل.

وقد قال تعالى في ذم عقيدتهم**(لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ)** سورة المائدة، الآية 73[2].

النصرانية هي ديانة عالمية تؤمن بيسوع المسيح كنبي ومخلص، وتعتمد تعاليمها على الإنجيل .تُعد من الديانات الإبراهيمية وتتسم بتنوع مذاهبها وطوائفها المنتشرة حول العالم.

خلاصة

القرآن الكريم هو الكتاب الخاتم من الله تعالى، أُنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ليكون هداية شاملة للبشرية جمعاء. في سياقه، لا يغفل القرآن ذكر أهل الكتاب (اليهود والنصارى)؛ فهم أمم سبقتهم الرسالات الإلهية والتنزيلات السماوية كالتوراة والإنجيل. يتعامل القرآن مع هذه الكتب والرسالات بأسلوب المصدِّق والمُهيمن؛ فهو يؤكد على الأصول المشتركة للإيمان والتوحيد التي جاء بها جميع الأنبياء، وفي الوقت نفسه، يُصحح ما طرأ على تلك الكتب من تحريفات أو تبديل، ويُكمل الرسالة الإلهية بما يتناسب مع خاتميتها وشمولها. يدعو القرآن أهل الكتاب بشكل متكرر إلى الإيمان بالرسالة الخاتمة والنبي الخاتم، ويدعوهم إلى العودة إلى جوهر التوحيد الخالص، مُبينًا لهم طريق الحق الذي ارتضاه الله للناس كافة.

[1] السواح، فراس. موسوعة تاريخ الأديان. ترجمة: عبد الرزاق العلي ومحمود منقذ الهاشمي. بيروت: دار التنوير، 2018. مج 5، ص 230

[2] السواح، فراس. مرجع سابق، ص 231

الفصل الثاني

الأساليب البلاغية في الحوار القرآني لأهل الكتاب

تمهيد

يُقدم القرآن الكريم حوارًا فريدًا مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى)، ليس مجرد سرد تاريخي بل خطاب بلاغي عميق يهدف إلى الهداية وإقامة الحجة. تتجلى بلاغة هذا الحوار في استخدام القرآن لأساليب متنوعة؛ فهو تارةً يستخدم الاستفهام البلاغي ليُحفزهم على التفكير والتأمل في معتقداتهم، وتارةً أخرى يُوجه نداءات مباشرة لشد انتباههم ودعوتهم إلى كلمة سواء. كما يُلجأ إلى الجدل بالتي هي أحسن لإرساء أسس الحوار العقلاني القائم على المشتركات، مع تسليط الضوء على جوانب الاتفاق والاختلاف. هذه الأساليب لا تقتصر على الإقناع المنطقي فحسب، بل تُلامس الجانب الوجداني، وتُظهر إعجاز القرآن في مخاطبة العقول والقلوب بأسلوب جامع بين قوة الحجة وجمال العبارة، مُرسخةً لدعوة شاملة تتجاوز الزمان والمكان.

المبحث الأول: الصور البيانية في الحوار القرآني لأهل الكتاب

يُعتبر الحوار القرآني مع أهل الكتاب جزءاً محورياً من نسيج القرآن الكريم، فهو ليس مجرد عرض لعقائد أو أحكام، بل هو دعوة ومنهجية إقناع تستخدم الصور البيانية ببراعة فائقة. هذه الصور، التي تتجلى في التشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل القرآني، لم تكن مجرد زينة لفظية، بل كانت أدوات بلاغية عميقة تهدف إلى تجسيد المعاني المجردة، وتقريب المفاهيم الغيبية، وإثبات الحجة بأسلوب مؤثر ومقنع.

يهدف هذا الاستخدام للصور البيانية إلى مخاطبة عقول وقلوب أهل الكتاب، وتذكيرهم بالحقائق التي يعرفونها من كتبهم، أو تصحيح المفاهيم المغلوطة لديهم، أو إظهار تناقضاتهم. فالقرآن لم يكتفِ بسرد الأدلة المنطقية، بل قدمها في قالب تصويري حي يجعلها أكثر رسوخاً في الذهن وأعمق تأثيراً في النفس، مما يعكس الإعجاز البياني للقرآن وقدرته على التواصل الفعال مع مختلف الفئات.

يُعدّ **علم البيان** فرعًا أساسيًا من فروع علم البلاغة، وقد شهد تطورًا ملحوظًا بفضل الأبحاث والدراسات المتواصلة في هذا المجال.

البيان في اللغة

تفيد كلمة "البيان" في أصل استعمالها اللغوي معاني **الانكشاف والوضوح**. فالعرب تقول: "بان الشيء بَيَانًا فهو بَيِّن"، وجمعه "أَبْيِناء". ويُقال: "أَبَنْتُه أنا"، أي أوضحته. كما يعني "استبان الشيء": ظهر، و"استبنته أنا": عرفته. ومن ذلك قوله تعالى: **"آيات مبينات"**، بمعنى أن الله أوضحها.[1]

وقد ورد أيضًا أن "فلان أبْيَن من فلان"، أي أوضح منه كلامًا. ومن معاني البيان كذلك: **الفصاحة واللسن**. ويُقال: "كلام بَيِّن فصيح". ويُعرَّف البيان بأنه: **الإفصاح مع الذكاء**. أما "البَيِّن" من الرجال، فهو الفصيح. وقد ذكر ابن شميل أن البَيِّن من الرجال هو: "السمع، اللسان، الفصيح، الظريف، العالي الكلام، القليل الرتج".

وقد رُوي عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **"إن من البيان لسحرًا وإن من الشعر لحكمًا"**. هنا، يُقصد بالبيان: **البلاغة والقدرة على التعبير والإقناع والتأثير**.[2]

لقد وردت كلمة "البيان" بكثرة في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، كما تناولها العرب في أشعارهم وكلامهم منذ القدم.

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1992، ج1، ص68-69.
[2] غازي يموت، علم أساليب البيان، دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1995، ص77.

البيان في الاصطلاح البلاغي

في اصطلاح البلاغيين، عرَّف الخطيب القزويني البيان بأنه: "**علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه ودلالة اللفظ**".[1]

والمقصود بـ"إيراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة" هو أن يتم التعبير عن المعنى الواحد بمجموعة من التراكيب التي تتفاوت في درجة الوضوح، سواء كانت هذه التراكيب من قبيل **التشبيه** أو **المجاز** أو **الكناية**. ويتمثل دور علم البيان في **الكشف عن الخصائص الجمالية لهذه الصور البيانية**، وتوضيح الطرق المتنوعة للتعبير عن المعنى الواحد. كما يكشف عن **أسرار التصوير البياني وتأثيره النفسي** وعناصره الأساسية التي تتمثل في التشبيه والمجاز والكناية.[2]

المطلب الأول : المجاز والكناية

أ- المجاز:

المجاز قسم من أقسام علم البيان، تناوله العديد من البلاغيين بالدراسة والتحليل وقسّموه إلى عدة أقسام :اللغوي والعقلي، وكل منها يتفرع إلى أقسام .إذن فالمجاز عند علماء السلف قسمان :**لغوي** ويسمى مجازًا في المفرد، و**عقلي** ويسمى مجازًا في الجملة .واللغوي ينقسم إلى مفرد ومركب، فالمفرد هو الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة مانعة من إرادة معناه، فقولنا :المستعملة احتراز عما لم يُستعمل، لأن الكلمة قبل الاستعمال لا تسمى مجازًا كما لا تسمى حقيقة.

والمجاز المفرد ضربان :**مرسل** و**استعارة**، لأن العلاقة المصحِّحة إن كانت تشبيه معناه بما هو موضوع له فهو استعارة، وإلاّ فهو مرسل) .[3]

والمجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استُعمل فيه وما وُضع له ملابسة غير التشبيه، كاليد إذا استُعملت في النعمة، لأن من شأنها أن تعتذر عن الجارحة ومنها ما تصل إلى المقصود بها .فالمجاز المرسل ضرب من التوسع في أساليب اللغة وفن من فنون الإيجاز، وسيتّضح هذا من خلال الأمثلة التي سنوردها والمستمدة من سورة يوسف عليه السلام.[4]

مثال :﴿ **إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا** ﴾ (سورة يوسف :الآية 36) – مجاز مرسل باعتبار ما سيكون، أي عنبًا يؤول خمرًا، وبعبارة أخرى تسمية الشيء باسم ما يؤول إليه.

[1] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة – المعاني والبيان والبديع، مكتبة الآداب، ط1، 1992، ص120.
[2] حسن إسماعيل عبد الرزاق، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 2000، ص11.
[3] الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار إحياء العلوم، بيروت، 1999 ص 396-397.
[4] بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، ج 2، 1999 ص 94.

المجاز في كلمة "خمرًا"، والخمر لا يُعصر لأنه سائل وإنما الذي يُعصر هو العنب الذي يؤول ويتحول بالعصر إلى خمر، فإطلاق الخمر وإرادة العنب مجاز مرسل علاقته "اعتبار ما سيكون" وهو النظر إلى الشيء بما سيكون عليه في الزمن المستقبل.

ومجاز مرسل علاقته المحلية، في هذا اللون يُذكر المحل، ويُراد الحال نحو :﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾ (سورة يوسف :الآية 82) – أي اسأل أهل القرية، إذ الأصل أهل القرية.

فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل هو الجر، فحُذف المضاف إليه إعرابه ونظيره "وجاء ربُّك" أي أمر ربُّك .المجاز في لفظة "اسأل" لأن القرية لا تُسأل وإنما يُسأل أهلها، والقرينة المانعة "اسأل" التي تُستعمل للعاقل .إلى غير ذلك من الوجوه كالسببية والمسببية، والكلية والجزئية، والحالية ...أما الاستعارة وهي الضرب الثاني من المجاز المفرد فستأتي دراستها فيما بعد[1]

أما **المجاز المركب** :هو اللفظ المركب المستعمل قصدًا وبالذات في غير المعنى الذي وُضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، فخرج بقولنا قصدًا وبالذات ما إذا تجاور جزء من أجزاء المركب وبذلك فإنه قد استُعمل مجموعة في غير ما وُضع له، وهذا ليس مجازًا مركبًا.

أما النوع الثاني من المجاز فهو **المجاز العقلي** والذي يعرّفه أهل البلاغة على أنه" :إسناد فعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له في الظاهر من حال المتكلم لملابسة مع قرينة صارفة من أن يكون الإسناد إلى ما هو له ."وما في معنى الفعل هو المصدر، واسم الفاعل، واسم المفعول، والصيغة المشبهة، ومعنى أنه ليس من حقه أن يُسند إليه لأنه ليس بوصف له، ومعنى الملابسة العلاقة .

وهذا التعريف يشمل إسناد الفعل المبني للفاعل وما في حكمه كاسم الفاعل إلى غير فاعله كالمفعول والمصدر والزمان والمكان والسبب مما له علاقة بالفاعل، وإسناد الفعل المبني للمفعول وما في حكمه كاسم المفعول إلى غير نائب الفاعل مما له علاقة به كالفاعل والمصدر ونحوهما ...ونذكر من هذه العلاقات الإسناد إلى الزمان[2] .

مثال :﴿ **يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ** ﴾ (سورة يوسف :الآية 48) – مجاز عقلي لأن السنين لا تأكل وإنما يأكل الناس ما ادخروه فيها، فهو من باب الإسناد إلى الزمان كقول الفصحاء" :نهار الزاهد صائم وليله قائم."

ومن أجل توضيح هذه الأمثلة من المجاز عمدنا إلى الاستعانة بكتب التفسير حيث جاء في روح المعاني :﴿ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ أي عنبًا، وسماه بما يؤول إليه لأن الخمر مما لا يُعصر "إذ عصر

[1] الخطيب القزويني، مرجع سابق، ص319.
[2] أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993 ص 286،287

الشيء إخراج ما فيه من المائع بقوة، وكون العنب يؤول إلى الخمر، وكون الذي يؤول إليه ماؤه لا جرمه، لا يضر لأنه المقصود منه ...وقيل الخمر بلغة غسان اسم العنب[1]

وقال ابن عطية" :يجوز أن يكون وصف الخمر بأنها معصورة لأن العصر من أجلها ."وجاء في تفسير ابن كثير نفس المعنى" :أعصر خمرًا يعني عنبًا، وأهل عُمان يسمون العنب خمرًا ."وقال عكرمة" :قال له : إني رأيت فيما يرى النائم أني غرست حبة من عنب فنبتت، فخرج فيها عناقيد، فعصرتهن ثم سقيتهن الملك[2]."...

وجاء في آخر" :﴿ أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ يعني عنبًا، سُمي العنب خمرًا باسم ما يؤول إليه، يقال فلان يطبخ الآجر، أي يطبخ اللبن حتى يصير آجرًا .وقيل الخمر هو العنب بلغة عُمان

مثال آخر :﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا** ﴾ (سورة يوسف :الآية 82) .ما جاء في الكشاف" :وسل القرية أي أرسل إلى أهلها نسلهم عن كنه القصة، وسل أصحاب العير، وكانوا قومًا من كنعان من جيران يعقوب وقيل من أهل صنعاء) ."...

وجاء في آخر..." :أي قولوا لأبيكم اسأل القرية، أي مصر "...قال المفسرون" :المراد أهلها .وقيل المعنى واسأل القرية نفسها وإن كانت جمادًا فإنك نبي الله، والله سبحانه وتعالى سينطقها فتجيبك ...وهذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب، ولا يصح الكلام إلا بتقديره للضرورة، كما قيل أكلت الشاة، فإن المفهوم من ذلك أكلت لحمها

"واسأل القرية" وإن كان أكثر الأصوليين يمثلون به، فإن القرية اسم للسكان في مسكن مجتمع، فإنما تُطلق القرية باعتبار الأمرين، كالكأس بما فيه ...ثم لكثرة استعمالهم هذه اللفظة ودورانها في كلامهم أطلقوها على السكان تارة وعلى المسكن تارة، بحسب سياق الكلام، وإنما يفعلون هذا حيث لا لبس...[3]

ب_ الكناية:

الكناية فن بلاغي بديع، توارثته العرب لغرض إثراء لغتهم وتوسيع آفاق التعبير فيها. إنها تُضفي على الأساليب جمالًا ورونقًا، وتُضاعف وجوه الدلالة والمعاني، مما يُمكن المتحدث من الوصول إلى مراده دون التصريح المباشر.

أقسام الكناية: وجوه مختلفة للمكنّى عنه

يُصنف البلاغيون الكناية إلى ثلاثة أقسام رئيسية بناءً على ما تُشير إليه:

[1] محمود الألوسي، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1419 هـ / 1999 م ص 239.
[2] الحافظ أبو الفداء ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، الرياض، ج 2، 1999 ص 1049.
[3] الخازن، علي بن محمد. لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن). دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. عام 1990م.ص43

كناية الصفة: الصفة المتوارية

في هذا النوع، تكون **الصفة** هي المعنى الخفي الذي يُراد الإشارة إليه، وتكون صفة معنوية كالجود أو الكرم. وهي تنقسم إلى نوعين :**قريبة**، وهي ما يُنتقل منها إلى المطلوب بها بلا واسطة، و**بعيدة**، وهي ما يُنتقل منها إلى المطلوب بها بواسطة.

مثال :عندما يُقال في القرآن الكريم: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ (سورة يوسف – الآية 21)، فهذه كناية عن **إكرام مقام يوسف** عندهم على أكمل وجه. الكرم صفة معروفة لدى العرب، وهذه كناية قريبة يُنتقل منها إلى المطلوب وهو "الإكرام"

كناية الموصوف: ذاتٌ خفية بصفة مميزة

هنا، يكون **الموصوف** هو المحتجب المتواري، ويُشترط في هذه الكناية أن تكون مختصة بالمكني عنه لا تتعداه

مثال :قول الله تعالى: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ﴾ هي كناية عن **شدة الظلام** أو عن كون البئر يبعد عن نظر الإنسان، ويُبعد الإنسان الذي بداخله عن رؤية النور، فهي مثل المقبرة التي يُدفن فيها الإنسان، فإنها تعزله عن المجتمع. فهي إذن كناية عن موصوف لأن "غيابة الجب" تُشبه المقبرة التي يغيب عنها النور، وتعزل الإنسان عن الآخرين[1]

كناية النسبة: إسناد المعنى لمتعلقات الموصوف

هذا النوع من الكلام هو عدول بالكلام عن التعبير المباشر، وذلك عن طريق إثبات صفة لشيء يتعلق بمن نريد إثباتها له.

مثال :في قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾ (سورة يوسف – الآية 66)، هذه كناية عن **أخذ المسالك كلها عليهم** .ومعناه: لا تمتنعون عن الإتيان به، إلا أن يُحاط بكم. [2]

أقسام الكناية باعتبار الوسائط

تُقسم الكناية أيضًا إلى أربعة أقسام بناءً على عدد الوسائط ودرجة خفاء المعنى:

التعريض: إشارةٌ خفية بالقرائن

التعريض هو خلاف التصريح، واصطلاحًا ما أُشير به إلى غير المعنى بدلالة السياق.

مثال :﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُمْ﴾، فالكلام مطلق، ولكنه يشير إلى معنى آخر يُفهم من سياق الكلام

[1] ربيعي محمد علي عبد الخالق، البلاغة العربية وسائلها وغايتها في التصوير البياني، دار المعرفة الجامعية ، مصر . 1987، ص85

[2] الزمخشري، محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. 1987م، ص322

التلويح: كثرة الوسائط وتدرج المعنى

هي التي كثرت فيها الوسائط بين اللازم والملزوم**مثال** :﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾، كما قلنا، هي كناية عن **الإكرام** استلزمت عدة وسائط من ترحيب، طعام إلى معنى الإكرام على أكمل وجه.

الرمزية: قلة الوسائط مع خفاء المعنى

وهي التي قلت وسائطها مع خفاء اللازم بلا تعريض. **مثال** :نحو قولهم: "عريض الوسادة" كناية عن **البلادة والبلاهة** لأن الأبله همّه في الدنيا أن يرتاح في نومه. ويُلاحظ أن درجة الخفاء متفاوتة من كلام إلى آخر.

أمثلة توضيحية من القرآن الكريم

- ﴿**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ**﴾ (سورة يوسف – الآية 21): أي منزلة الذي يثوي فيه بالطعام الطيب واللسان الحسن، يعني أحسني تعهده حتى تكون نفسه طيبة في صحبتها، وسالمة في كنفها. يُقال للرجل "كيف أبو مثواك" لمن يتولى به من رجل أو امرأة، يُراد هل تطيب نفسه بثوائك عنده؟ وهل يرعى حق نزولك؟ وقال ابن عباس وقتادة: أكرمي منزلته، والمثوى محل الثوى وهو الإقامة. وإكرام مثواه، كناية عن إكرامه على أبلغ وجه وأتمه، لأن من أكرم المحل بإحسان الأسرة واتخاذ الفراش ونحوه فقد أكرم ضيفه بسائر ما يكرم به، أو المقام مقحم كما يُقال: المجلس العالي والمقام السامي.
- ﴿**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ**﴾ (سورة يوسف – الآية 84): جاء في كتاب "روح المعاني" أن البكاء سبب بياض عينه، فإن العبرة إذا كثرت سواد العين قلب إلى بياض كدر، فأُقيم السبب المسبب مقامه لظهوره. والبياض قيل إنه كناية عن **العمى** فيكون قد ذهب بصره. وقيل إنه إذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلّبتها إلى بياض كدر. قيل: قد عمي بصره. وقيل كان يدرك إدراكًا ضعيفًا، فكان الخوف والحزن بسبب البكاء، والذي حدث منه البياض. فكأنه حدث من الحزن، وقيل: "ما جفت عينا يعقوب منذ وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عامًا".

• ﴿**قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا**﴾ (سورة يوسف – الآية 30): جاء في كتب التفسير "شغفها حباً" يعني قد علقها حبًا. والشغاف جلدة محيطة بالقلب، يقال لها غلاف القلب. والمعنى أن حبه دخل الجلدة حتى أصاب القلب. وقيل أن حبه قد أحاط بقلبها كإحاطة الشغاف بالقلب. قال الكلبي: حجب حبه قلبها حتى لا تعقل شيئًا سواه. وقيل: قد شغفها حبه، يعني: خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الفؤاد، والشغاف حجاب القلب، أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب. وجاء في روح المعاني "شغفها حباً" أي شق حبه شغاف قلبها وهو حجابه، وقيل:

هو جلدة رقيقة يقال لها: لسان القلب حتى وصل إلى فؤادها، الكناية إذن، هي من ألطف الأساليب البلاغية وأدقها، فهي تُمكن الإنسان من التعبير عن أمور كثيرة قد يتحاشى الإفصاح بذكرها لأغراض مختلفة.[1]

المطلب الثاني : التشبيه و الإستعارة

أ_ التشبيه:

التشبيه ليس مجرد أسلوب أدبي في اللغة العربية فحسب، بل هو منتشر في جميع اللغات. وقد أولى به العرب اهتمامًا كبيرًا، واعتبروه أحد مقاييس البراعة الأدبية. وقد تناول علماء البلاغة التشبيه من زوايا متعددة، وقسموه تقسيمات مختلفة بناءً على اعتبارات متنوعة.

أركان التشبيه الأساسية

يقوم بنيان التشبيه على أركان أربعة :**المشبه** و**المشبه به** ويُسميان **طرفا التشبيه**، ثم **أداة التشبيه** و**وجه الشبه**وينقسم هذان الطرفان إلى حسيين وعقليين ومختلفين، وإلى مفردين ومركبين ومختلفينأما وجه الشبه فهو الوجه المشترك بين الطرفين، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه، وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام وقد يُحذف. وآخر أجزائه أداة التشبيه، فهي اللفظ الذي يدل على التشبيه، ويربط المشبه والمشبه به، وقد تُذكر الأداة في التشبيه وقد تُحذف.

أقسام التشبيه بناءً على طرفيه

باعتبار طرفي التشبيه، قسم علماء البلاغة التشبيه إلى:

- **الملفوف** :أن يؤتى بالمشبهات أولًا على طريق العطف أو غيرها، ثم يؤتى بالمشبهات بها كذلك.
- **المفروق** :أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم بآخر وآخر.
- **تشبيه التسوية** :إن كان المتعدد المشبه.
- **تشبيه الجمع** :إن كان المشبه به. [2]

أقسام التشبيه بناءً على وجه الشبه والأداة

- **التشبيه المجمل** :هو الذي لم يُذكر فيه وجه الشبه. **[مثال** :﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ﴾ (سورة يوسف –الآية 6) – تشبيه مرسل مجمل.

[1] القنوجي، محمد صديق خان. فتح البيان في مقاصد القرآن. المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. غالبًا ما تكون الطبعات الحديثة بعد عام 1990م.ص67

[2] أبو العدوس، يوسف محمود. التشبيه والاستعارة في شعر محمود درويش. دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن. 2002م، ص80

- **التشبيه المفصل** :هو ما ذُكر فيه وجه الشبه. **التشبيه القريب المبتذل** و**البعيد الغريب** أما أقسام التشبيه باعتبار الأداة فقد قسموه إلى :
  - **مؤكد** :وهو ما حُذفت أداته، وتأكيد الشبه الحاصل للادعاء أن المشبه عين المشبه به.
  - **مرسل** :وهو ما ذُكرت فيه الأداة.

التشبيه البليغ: قمة البلاغة

التشبيه البليغ هو ما ذُكر فيه الطرفان فقط، وحُذف منه الوجه والأداة. وسبب تسميته بذلك أن حذف الوجه والأداة يوهم اتحاد الطرفين وعدم تفاضلهما فيعلو المشبه إلى مستوى المشبه به، وهذه هي المبالغة في قوة التشبيه. فالتشبيه البليغ هو أعلى درجات التشبيه بلاغة، وأعلاه منزلة، وهو الميدان الفصيح الذي تسابق فيه البلغاء والفصحاء، وفيه يختلف البلاغي عن غيره.

مثال :﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ (سورة يوسف– الآية 44) – تشبيه بليغ حُذفت منه الأداة ووجه الشبه.

أنواع أخرى من التشبيه

- **التشبيه الضمني** :هو تشبيه لا يُوضح فيه المشبه والمشبه به في صورة التشبيه المعروفة، بل يُلمحان في التركيب أي السياق.
- **التشبيه المقلوب** :هو جعل المشبه مشبهًا به، وادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأعم وأظهر.

تعليقات المفسرين حول ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾

"أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ" تشبيه بليغ حُذفت منه الأداة ووجه الشبه. يرى أحد المفسرين أنه من أبلغ أنواع التشبيه وألطفها، فإن الأضغاث هو المختلط من الحشيش والمختلط من الحشيش المضموم بعضه إلى بعض. فشُبه اختلاف الأحلام وما فيها من المحبوب والمكروه، والخير والشر باختلاط الحشيش المجموع من أصناف كثيرة، وهي أخلاط مشتبهة واحدها ضغث، وأصله الحزمة المختلطة من أنواع الحشيش. والأحلام جمع حلم وهو الرؤيا التي يراها الإنسان في منامه.

وفي الكشّاف أن "أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ" تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس، أو من وسوسة شيطان. وقد استُعيرت لذلك وأصلها ما جُمع من أخلاط النبات وحُزمه، وإضافتها إلى معنى من أضغاث أحلام، وأُورد عليه أن الأضغاث إذا استُعيرت للأحلام الباطلة، والأحلام المذكورة هي عبارة عن رؤيا مخصوصة فقد ذُكر المستعار، وذلك مانع من الاستعارة عندهم.

و"أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ" تعني أخلاط أحلام، ومن هنا اكتملت صورة التشبيه البليغ بحذف الأداة ووجه الشبه. [1]

ب_ الاستعارة:

تُعد **الاستعارة** أحد أعمدة علم البيان، ولقد اهتم بها البلاغيون قديمًا وحديثًا اهتمامًا بالغًا، فأحرزت نصيبًا وافرًا في كتبهم. لا يتعرضون لذكر أساليب البلاغة إلا ويذكرونها، وقد أعطوها عدة تعاريف، وقسموها من حيث أنواعها إلى عدة أقسام.

تقسيمات الاستعارة

يقسّم البلاغيون الاستعارة باعتبارات مختلفة: باعتبار الطرفين، وباعتبار الجامع، وباعتبار اللفظ، وباعتبار أمر خارج عن ذلك كله. فمن حيث ذكر أطرافها قسموها إلى **تصريحية** و**مكنية** .وباعتبار لفظها قسموها إلى **أصلية** و**تبعية** .وباعتبار الملائم قسموها إلى **مرشحة** و**مجردة** و**مطلقة** .وباعتبار تركيبها قسموها إلى **تمثيلية** .وباعتبار الطرفين قسموها إلى خمسة أقسام. وسنحاول التعرض لبعض الأنواع بنوع من التفصيل مع ذكر الشاهد إذا توفر في السورة.

الاستعارة التصريحية

الاستعارة التصريحية هي ما صُرح فيها بلفظ المشبه به وحُذف المشبه. **مثال** :نحو قوله تعالى: ﴿... إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِين... ﴾ (سورة يوسف – الآية 4). الاستعارة في الألفاظ التالية: "كَوَكِبًا"، "الشَّمْسَ"، "الْقَمَرَ"، أي استُعملت الكلمة في غير معناها الحقيقي، حيث شُبّه إخوة يوسف بالكواكب وأمه وأبوه بالشمس والقمر، والعلاقة المشابهة بينهما في العلو والرفعة.

والعلاقة التي تمنع من إرادة المعنى الحقيقي لفظية في لفظة "سَاجِدِينَ"؛ لأنه لا يُعقل للكواكب وللشمس والقمر أن تسجد. فحُذف منه لفظ المشبه، واستُعير بدله لفظ المشبه به "الكواكب"، "الشمس"، "القمر" ليقوم مقامه بادعاء المشبه به هو عين المشبه مبالغةً، وهي استعارة تصريحية. [2]

الاستعارة المكنية

[1] المراغي، أحمد مصطفى. علوم البلاغة: البيان والمعاني والبديع. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 2005م، ص105

[2] الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1994م، ص102

أما الاستعارة المكنية هي ما حُذف فيها المشبه به ورُمز له بشيء من لوازمه، وذُكر فيها المشبه. **مثال** :نحو قوله تعالى: "وَجَاؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ...."، استعارة مكنية في لفظ "كَذِب" حيث أُسند الكذب إلى الدم، والكذب خاصية أو صفة من صفات الإنسان. فحُذف المشبه وذُكر شيء من لوازمه وهو الكذب، واللفظة المانعة من إيراد المعنى الحقيقي تُفهم من سياق الحديث، وهي إسناد الكذب للدم.

كذلك في قوله تعالى: ﴿... وَلاَ تَيأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللَّهِ ﴾ (سورة يوسف – الآية 87). استُعير "الروح" وهو تنسيم الريح التي يَلذ شمها، ويطيب نسيمها للفرج الذي يأتي بعد الكربة، واليسر الذي يأتي بعد الشدة على سبيل الاستعارة المكنية الأصلية، باعتبار "الروح" اسم جامد غير مشتق.

الاستعارة الأصلية والتبعية

أما الاستعارة **الأصلية** فهي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة جامدًا غير مشتق. **مثال** :نحو قوله تعالى: ﴿... إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (سورة يوسف – الآية 4). الاستعارة في الألفاظ: "الكواكب"، "الشمس"، "القمر"، حيث شُبه إخوة يوسف "بالكواكب" وأمه وأبوه بالشمس والقمر، وهذه الألفاظ جاءت جامدة غير مشتقة على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية.

أما الاستعارة **التبعية** :فهي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه اسماً مشتقًا أو فعلاً. **مثال** :نحو قوله تعالى: ﴿يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ (سورة يوسف – الآية 12) استعارة مكنية تبعية في لفظ "يرتع"؛ لأن الفعل "يرتع" مشتق من الرتع، والرتع حقيقة في أكل البهائم، ويُستعار للإنسان إذا أُريد به الأكل الكثير، حُذف المشبه به وذُكر أحد لوازمه وهو الرتع. [1]

المبحث الثاني: أساليب الخطاب القرآني.

لاشك أن خطاب الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم لأهل الكتاب من اليهود والنصارى قد ورد بأنواع متعددة وبأساليب مختلفة, وبحسب السياق والموضوع وما تقتضيه بلاغة القرآن الكريم وفصاحته.

فالقرآن الكريم خطاب عالمي شامل لجميع البشر مؤمنهم وكافرهم دون استثناء, مما يدل على أن القرآن الكريم هو الوحي الإلهي الحق الذي أنزله رب العالمين على رسوله الأمين ليكون للعالمين نذيراً, وهذا الكتاب الحق هو الذي سيجمع البشرية على دين واحد, ويردها إلى عبادة ربها الواحد الأحد, وإلى أمتها الواحدة بعد اختلافها وتفرقها.

وكان من ضمن من خاطبهم الله في القرآن الكريم أهل الكتاب, فكان يخاطبهم أحياناً بطريقة مباشرة, وأحياناً بطريقة غير مباشرة,

[1] الألوسي، مرجع سابق، ص103.

المطلب الأول: الأسلوب المباشر

يتمثل الأسلوب في طريقة الجدل وضرب المثل والإعجاز في الإيجاز، وهو ما يجعل الخطاب القرآني دائما مثيرا ومشوقا وحيويا وفاعلا، ويجعل المخاطب طرفا في الموضوع متفاعلا معه، مشدودا إليه، لتعلقه ببؤرة شعوره.

الأسلوب المباشر هو التعبير الصريح والواضح عن المعنى، حيث لا يحتاج المتلقي إلى تأويل أو استنتاج للوصول إلى المقصود. الغالبية العظمى من الخطابات القرآنية المذكورة في النص تندرج تحت هذا التصنيف، لأنها توجيهات، أوامر، نواه، أو بيانات واضحة لا لبس فيها[1].

توجيه الخطاب إليهم من الله تعالى مباشرة وبدون واسطة.

أولًا: الخطاب الإلهي المباشر لأهل الكتاب

يُعتبر هذا النمط من الخطاب الأكثر وضوحًا وصراحة، حيث يأتي التوجيه والأمر والنهي مباشرة من الله سبحانه وتعالى إلى أهل الكتاب، داعيًا إياهم إلى التزام الحق، وتاركًا لهم الخيار بين الهداية والضلالة. يهدف هذا الخطاب إلى تذكيرهم بأصول دينهم، وتحذيرهم من الانحراف، ودعوتهم إلى الإيمان بالرسالة الخاتمة.

.1دعوة إلى الوفاء بالعهد والإيمان بالقرآن :يُستهل هذا الخطاب الإلهي المباشر بنداء رقيق تذكيري، يستحضر النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، ويطالبهم بالوفاء بعهد الإيمان والطاعة، وهو ما يستلزم الإيمان بالقرآن الكريم الذي جاء مصدقًا لما لديهم من الحق. كما يحذرهم من أن يكونوا أول الكافرين بهذا الكتاب، ومن استبدال آيات الله بثمن بخس زائل.

قوله تعالى :**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُوا بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ**سورة البقرة، الآيتان 40-41.

هذه الآيات تُشكل نداءً جامعًا لليهود، تُذكّرهم بفضل الله عليهم من خلال إرسال الأنبياء وإنزال الكتب، وتطالبهم بالوفاء بالعهد الذي قطعوه على أنفسهم لله بالطاعة والإيمان. إن الوفاء بعهد الله يقتضي الإيمان بالرسالة الجديدة المتمثلة في القرآن الكريم، الذي جاء ليؤكد ما لديهم من حقائق لا لينقضها. التحذير من أن يكونوا "أول كافر به" يشير إلى علمهم المسبق بقدوم هذا النبي وهذه الرسالة من خلال نبوءاتهم، مما يجعل

[1] فريد، عائشة حسين. البيان في ضوء الأساليب العربية. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر. 2005م، ص57.

كفرهم أشد جرمًا. كما تُحذرهم الآيات من بيع آيات الله، أي تعاليمه وشريعته، مقابل مصالح دنيوية زائلة، مثل الحفاظ على مكانتهم الاجتماعية أو مكاسبهم المادية.

.2استفهام استنكاري حول كفرهم وكتمانهم للحق :يُوجه القرآن الكريم استفهامات استنكارية مباشرة لأهل الكتاب، معبرًا عن استغراب هذا الكفر والجحود منهم، وهم يمتلكون المعرفة والحجة. هذه الأسئلة البلاغية ليست لطلب جواب، بل لتوبيخهم وإلزامهم بالحجة القاطعة.

قوله تعالى :**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ** سورة آل عمران، الآية 70.

هذه الآية تُوجه خطابًا شديد اللهجة لأهل الكتاب، مستنكرةً كفرهم بآيات الله وهم يعلمون الحقائق ويشهدون عليها من خلال ما في كتبهم من دلائل. الكفر هنا ليس عن جهل، بل عن علم وعمد، مما يجعله ذنبًا أكبر.

قوله تعالى :**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** سورة آل عمران، الآية 71.

تتابع الآية توبيخهم على خلط الحق بالباطل وكتمان الحقائق التي يعرفونها، وهو فعل يدل على سوء نية ومحاولة تضليل الناس عن طريق التلاعب بالمعلومات الدينية. هذا الكتمان والتلبيس ليس نتيجة لخطأ في الفهم، بل هو فعل إرادي مبني على المعرفة[1].

.3النهي عن الغلو في الدين :يُحذر القرآن أهل الكتاب من الغلو والإفراط في الدين، وهو ما وقع فيه كل من اليهود والنصارى على حد سواء، كلٌّ بطريقته. فاليهود غلوا في التضييق على أنفسهم، والنصارى غلوا في رفع عيسى عليه السلام إلى مرتبة الألوهية. ويأمرهم بالقول على الله بالحق فقط، دون ابتداع أو تأليه للمخلوقين.

قوله تعالى **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ** سورة النساء، الآية 171.

هذه الآية موجهة بشكل خاص للنصارى، تُحذرهم من الغلو في دينهم، خاصة فيما يتعلق بعيسى عليه السلام، وتدعوهم إلى عدم تجاوز الحد في وصفه بما ليس له من الربوبية. فالغلو يؤدي إلى الانحراف عن التوحيد الصحيح وإسناد صفات الألوهية لغير الله.

[1] الصابوني، محمد علي. صفوة التفاسير. دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر 1978م.ص77

.4تذكير ببعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كبشير ونذير :يُشير القرآن إلى أن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم جاءت في فترة انقطاع بين الرسل، لقطع أي حجة قد يتذرع بها أهل الكتاب بأنهم لم يأتهم بشير أو نذير، مؤكدًا أن الرسالة قد وصلت إليهم كاملة وشاملة.

قوله تعالى: **أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**سورة المائدة، الآية 19.

هذه الآية تُعد إتمامًا للحجة على أهل الكتاب، فبعد فترة انقطاع طويلة بين الأنبياء، جاء محمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة النهائية، فلا عذر لهم بعد ذلك في عدم الإيمان، لأن البشير والنذير قد أتاهم بوضوح.

.5توبيخ على عصيانهم وتغييرهم لأوامر الله :يُسرد القرآن قصصًا من تاريخ بني إسرائيل لتوبيخهم على عصيانهم المستمر لأوامر الله وتبديلهم لكلماته، مثل قصة دخول القرية التي أُمروا فيها بالسجود وقول "حِطَّة" فبدلوا القول وعصوا الأمر.

قوله تعالى:**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ** سورة البقرة، الآيتان 58-59.

تُظهر هذه الآيات مثالًا حيًا لعصيان بني إسرائيل وتمردهم على أوامر الله الواضحة، مما أدى إلى عقابهم. هذا ليس مجرد سرد تاريخي، بل هو تذكير مباشر لهم بطبيعتهم المتمردة وتحذير من تكرار الأخطاء ذاتها[1].

ثانيًا: خطاب أهل الكتاب بواسطة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم

في هذا النمط، يأمر الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بمخاطبة أهل الكتاب، إما لدعوتهم إلى كلمة سواء، أو للرد على مزاعمهم الباطلة، أو لكشف تناقضاتهم وأخطائهم. هذا الناطق باسم الله (الرسول) يُضفي على الخطاب طابعًا حواريًا ونبويًا.

.1دعوة إلى كلمة سواء :يُؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة أهل الكتاب إلى نقطة التقاء أساسية تجمع بين الأديان السماوية، وهي توحيد الله وعدم الإشراك به، وعدم اتخاذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله. فإن رفضوا، فعلى المسلمين أن يشهدوا بأنهم مسلمون موحدون.

[1] السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر. مفتاح العلوم. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 2000م، ص68

قوله تعالى **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ** سورة آل عمران، الآية 64.

هذا الخطاب من أروع صور الدعوة إلى الوحدة والاجتماع على أساس التوحيد، ويُعد دعوة عامة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم، كما أشار ابن كثير في تفسيره، للدخول في الإسلام على قاعدة أساسية مشتركة بين جميع الشرائع السماوية.

.2الرد على مزاعمهم الباطنة حول كونهم أبناء الله وأحباءه :يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالرد على مزاعم أهل الكتاب بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم لن يُعذبوا بذنوبهم. يُبين القرآن أنهم مجرد بشر كغيرهم من المخلوقات، وأن الله يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وأن له ملك السماوات والأرض وما بينهما.

قوله تعالى **وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ** سورة المائدة، الآية 18.

هذا الرد يدحض مزاعمهم الواهية التي تمنحهم حصانة من العقاب الإلهي بناءً على علاقة خاصة مزعومة مع الله. ويُوضح أن العلاقة الحقيقية مع الله تقوم على الطاعة والالتزام بالأوامر واجتناب النواهي، وليس على مجرد الانتماء العرقي أو الديني[1].

.3كشف تناقضاتهم بين ادعاء الإيمان وقتل الأنبياء :يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بكشف تناقضهم الفاضح؛ فهم يدعون الإيمان بما أنزل عليهم من كتب، بينما يكفرون بما وراءه من الحق، بل إن تاريخهم يشهد على قتلهم الأنبياء الذين جاءوهم بالبينات، واصنامهم للعجل من بعد موسى.

قوله تعالى **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلَقَدْ جَاءَكُم مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ** سورة البقرة، الآيتان 91-92.

هذه الآيات تُسلط الضوء على تناقض جوهري في موقف اليهود: ادعاء الإيمان ببعض ما أنزل الله، وكفرهم ببعضه الآخر، بل ومعاداتهم وقتلهم للأنبياء الذين جاءوا بالحقائق التي لا تتفق مع أهوائهم. وهذا يُبطل دعواهم الإيمان ويُظهر ظلمهم[2].

[1] الصابوني، مرجع سابق، ص80.

[2] السكاكي، مرجع سابق، ص70

ثالثًا: خطاب أهل الكتاب بواسطة موسى عليه السلام

لم يقتصر الخطاب القرآني لأهل الكتاب على عصر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، بل امتد ليشمل خطابات الأنبياء السابقين لهم، وفي مقدمتهم موسى عليه السلام، الذي خاطب قومه بالعديد من الأوامر والنواهي التي تُسجل في القرآن لتكون حجة عليهم.

.1دعوة إلى التوبة من عبادة العجل :يُسجل القرآن خطاب موسى عليه السلام لقومه بعد اتخاذهم العجل إلهًا، حيث يدعوهم إلى التوبة الصادقة والعودة إلى عبادة الله وحده، حتى وإن استلزم ذلك تضحيات كبيرة.

قوله تعالى **وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** سورة البقرة، الآية 54.

هذه الآية تُظهر شدة الموقف وخطورة الشرك، وتُسجل توبيخ موسى لقومه ودعوته إياهم للتوبة الجادة التي تُطهّرهم من ذنبهم العظيم. والشاهد هنا أن موسى عليه السلام خاطبهم بضرورة عبادة الله وحده والتوبة عن عبادة غيره.

.2أمر بدخول الأرض المقدسة :يُذكر القرآن أمر موسى لقومه بدخول الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم، ويُحذرهم من الارتداد على أعقابهم خشية الخسارة.

قوله تعالى **يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ** سورة المائدة، الآية 21.

هذا الخطاب يمثل أمرًا إلهيًا مباشرًا عبر نبيه موسى بدخول الأرض المقدسة، وهو أمر يتطلب الشجاعة والثقة في وعد الله. ويعكس رفضهم اللاحق هذا الأمر عصيانًا آخر في سجلهم.

.3توبيخ على إيذائهم للرسول :يُسجل القرآن توبيخ موسى لقومه على إيذائهم له، رغم علمهم بأنه رسول الله إليهم، ويُبين أن زيغ قلوبهم أدى إلى إزاغة الله لقلوبهم، وأن الله لا يهدي القوم الفاسقين.

قوله تعالى :**وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** سورة الصف، الآية 5.

تُبرز هذه الآية طبيعة العلاقة المتوترة بين موسى وقومه، وكيف أن إعراضهم عن الحق وإيذاءهم له كان سببًا في ضلالهم. كل هذه الآيات تُوضح لنا كيف كان خطاب الله لأهل الكتاب بواسطة نبيه موسى عليه السلام يدعوهم فيه إلى الالتزام بأوامر الله تعالى ويحذرهم من مخالفته[1] .

[1] أمين، بكري شيخ. البلاغة العربية في ثوبها الجديد. دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. 1980، ص34.

رابعًا: خطاب أهل الكتاب بواسطة عيسى عليه السلام

كما كان لموسى عليه السلام دور في مخاطبة بني إسرائيل، كذلك كان لعيسى عليه السلام دور محوري في دعوتهم، وقد سجل القرآن الكريم جانباً من هذا الخطاب الذي يدعو إلى التوحيد الخالص، ويحذر من الشرك، ويُبشر بالرسول الخاتم.

.1دعوة إلى عبادة الله وحده والتحذير من الشرك :يُسجل القرآن قول المسيح عليه السلام لبني إسرائيل داعيًا إياهم إلى عبادة الله وحده، محذرًا من أن الشرك بالله يحرم على صاحبه الجنة ويجعل مأواه النار.

قوله تعالى**وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**سورة المائدة، الآية 72.

تؤكد هذه الآية على جوهر رسالة عيسى عليه السلام، وهي الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك، وتُظهر أن المسيح لم يدعُ إلى ألوهية نفسه، بل إلى عبادة الله ربه ورب قومه، وأن مصير المشركين هو النار.

.2التبشير بالرسول الخاتم (أحمد :(يُذكر القرآن قول عيسى ابن مريم عليه السلام لبني إسرائيل بأنه رسول الله إليهم، مصدقًا لما بين يديه من التوراة، ومبشرًا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد (وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم). ورغم وضوح البينات، كذبوا وقالوا هذا سحر مبين.

قوله تعالى :**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ** سورة الصف، الآية 6.

تُظهر هذه الآية الحجة الدامغة على أهل الكتاب، حيث أن نبيهم عيسى عليه السلام بشّر بقدوم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مما يجعل تكذيبهم له كفرًا بما جاء به أنبياؤهم. هذه الآيات تُبرز خطاب الله تعالى لأهل الكتاب على لسان نبيه عيسى عليه السلام، داعيًا إياهم إلى توحيد الله ومحذرًا من الشرك به، ويأمرهم باتباع الرسل جميعًا، وخاصة النبي محمد صلى الله عليه وسلم[1].

يكشف القرآن الكريم من خلال هذه الأنماط المتعددة للخطاب عن خلق ذميم متأصل في بعض أهل الكتاب، وهو **النفاق وإظهار خلاف ما يبطنون** .هذا النفاق يتجلى في كفرهم بالقرآن وبالرسول صلى الله عليه

[1] فريد، عائشة حسين. البيان في ضوء الأساليب العربية. دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر. 2005م، ص57.

وسلم، وفي حسدهم للمؤمنين، وحرصهم الشديد على إخراج المسلمين من الدين الحق إلى الكفر والضلال. هذا المنهج في الدعوة إلى النصرانية (أو اليهودية) مستمر إلى عصرنا الحديث، حيث يسعى البعض منهم جاهدًا لتشويه صورة الإسلام وصرف الناس عنه.

هذه هي الأنواع الرئيسية للخطاب القرآني لأهل الكتاب، والتي تعكس حكمة القرآن في التعامل مع مختلف الفئات، وإقامة الحجة عليهم، ودعوتهم إلى طريق الحق.

المطلب الثاني: الخطاب غير المباشر

الخطاب غير المباشر في القرآن الكريم هو الأسلوب الذي يوصل المعنى إلى المتلقي بطرق غير صريحة، تعتمد على التلميح، الإيحاء، استخدام الصور البلاغية (كالكناية، الاستعارة، التشبيه الضمني)، أو سرد الأحداث (كالقصص والأمثال) ليصل المعنى المقصود دون التصريح به مباشرة. يهدف هذا الأسلوب إلى تحفيز التفكير والتأمل، وترسيخ المعاني في النفوس بطريقة أكثر عمقًا وإقناعًا[1].

يُمثل الخطاب القرآني الموجه إلى **أهل الكتاب**)اليهود والنصارى) تحفة بلاغية متكاملة، فهو لا يقتصر على النداءات المباشرة والتوبيخ الصريح، بل يتعمق في أساليب **الخطاب غير المباشر** لإقامة الحجة عليهم، ودعوتهم إلى التدبر، وتصحيح مفاهيمهم بطرق أكثر دقة وتأثيرًا. هذا النوع من الخطاب يتطلب من المتلقي التفكير والاستنتاج، مما يجعل الرسالة أكثر رسوخًا في الذهن وأعمق تأثيرًا في النفس، ويُعزز من إعجاز القرآن وقدرته على الوصول إلى القلوب والعقول عبر مسارات متعددة.

.1ضرب الأمثال: تجسيد المعاني وتوضيح العواقب

يُعد أسلوب **ضرب الأمثال** من أبرز الأدوات البلاغية في الخطاب القرآني غير المباشر. تستخدم هذه الأمثال لتقريب الحقائق المعنوية وتجسيدها في صور حسية مألوفة، مما يجعل الرسالة أكثر وضوحًا وأسهل فهمًا، حتى وإن كانت تحمل في طياتها توبيخًا أو تحذيرًا. هذه الأمثال، وإن لم تُخاطب أهل الكتاب بـ "يا أهل الكتاب" صراحة، فإن سياقها القرآني وتاريخ المخاطبين يُفصح عن أنهم المعنيون بها، وهي بمثابة توبيخ غير مباشر أو تحذير ضمني يترك للمتلقي استنتاج العبرة بنفسه.

_مثل الحمار الذي يحمل أسفارًا :يُقدم القرآن الكريم هذا المثل البليغ لوصف حال اليهود الذين أوتوا التوراة وعلموا أحكامها، ولكنهم لم يعملوا بها أو يتبعوا هداها. هذا المثل يُظهر الانفصال بين المعرفة والتطبيق، ويُلقي بظلاله على المسؤولية العظمى لحاملي الكتب السماوية .قوله تعالى **:مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**

[1] القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. .الجامع لأحكام القرآن ط. 2 دار الكتب المصرية، 1964، ص98

سورة الجمعة، الآية 5 .لا يوجه هذا المثل اتهامًا مباشرًا "أنتم كالحمير"، بل يُقدم صورة حيوانية معروفة بجهلها لما تحمله من علم، فيشير إلى حال من يحمل العلم ولا ينتفع به. يُعد هذا الأسلوب أشد إيلامًا لأنه يترك للمخاطب استنتاج الحقيقة المهينة عن نفسه، ويُبرز فداحة تقصيرهم في حق الكتاب الذي أُنزل إليهم. إنه يلوم فعلهم لا ذاتهم بأسلوب غير مباشر يدعو إلى التفكير العميق في قيمة العلم والعمل.

_ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ: يُضرب هذا المثل لوصف حال من اتبع هواه وآثر الدنيا على الآخرة، وهو ينطبق على بعض علماء أهل الكتاب الذين آتاهم الله علمًا فتركوه وانقادوا لشهواتهم وأطماعهم. يُصور المثل شدة تعلقهم بالدنيا وغفلتهم عن الآخرة، بغض النظر عن الظروف المحيطة بهم .قوله تعالى **:وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ۚ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** سورة الأعراف، الآية 176 .

_مثل الذي استوقد نارًا :يُقدم هذا المثل لتصوير حال المنافقين أو الذين آتاهم الله هداية فرفضوها، وكيف أنهم فقدوا النور بعد أن ظنوا أنهم اهتدوا .قوله تعالى **:مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ** سورة البقرة، الآية 17[1].

.2القصص القرآني: استدعاء التاريخ لإقامة الحجة والتصحيح

يُعد السرد القصصي لأحداث بني إسرائيل والأنبياء السابقين من أقوى أساليب الخطاب غير المباشر وأكثرها تفصيلاً في القرآن. القرآن لا يسرد هذه القصص للتسلية أو مجرد الإخبار، بل هي آيات تحمل في طياتها عبرًا وحججًا. تُهدف هذه القصص إلى تصحيح المفاهيم التاريخية والدينية المغلوطة لديهم، وإقامة الحجة عليهم من تاريخهم هم أنفسهم، وتذكيرهم بسنن الله في تعامله مع الأمم، وبيان أن انحرافهم الحالي ليس بجديد في سجلهم. هذه القصص تُخاطب العقول والقلوب بالقصة والموعظة، وتترك للمتلقي استنتاج الحقائق عن طريق الربط بين الماضي والحاضر.

_ قصة بني إسرائيل مع العجل الذهبي :يُفصّل القرآن الكريم حادثة اتخاذ بني إسرائيل العجل إلهًا بعد ذهاب موسى عليه السلام لميقات ربه. هذه الحادثة تُمثل نقطة تحول خطيرة في تاريخهم، حيث انتقلوا من التوحيد إلى الشرك في غياب نبيهم .قوله تعالى **:وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ** سورة البقرة، الآية 51 .هذه القصة، بالإضافة إلى آيات أخرى مثل **:وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ**

[1] السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. الإتقان في علوم القرآن. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر. 1974م. ج3، ص 205.

عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ سورة البقرة، الآية 54 .تُعد هذه القصة توبيخًا غير مباشر لليهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم، وتذكيرًا لهم بتاريخ أسلافهم في نقض العهود والشرك. إنها تُظهر طبيعة الانحراف المتأصلة في بعضهم، وتُبين أن الإسلام جاء ليُصحح هذه الانحرافات المتراكمة عبر التاريخ، وليس ليبدأ نزاعًا جديدًا. [1]

_**قصة تحويل القردة والخنازير (أصحاب السبت)** يذكر القرآن عاقبة مجموعة من بني إسرائيل اعتدت في السبت، أي تحايلت على أمر الله بعدم الصيد فيه، فمسخهم الله قردة وخنازير كعقاب لهم على تمردهم وتحايلهم .قوله تعالى :**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ** سورة البقرة، الآيتان 65-66 .هذه القصة، التي يعرفها اليهود جيدًا من تاريخهم، هي تحذير شديد اللهجة لهم، تذكّرهم بعواقب مخالفة أمر الله والتحايل على شريعته. تُقدم عبرة قوية دون توجيه اتهام مباشر لكل فرد منهم، بل تُسلط الضوء على سنة إلهية في التعامل مع العصيان. هذا السرد التاريخي يهدف إلى تخويفهم وترهيبهم من مغبة التلاعب بحدود الله.

_ سرد حوارات الأنبياء السابقين (كحوارات موسى وعيسى)عندما يعرض القرآن حوارات الأنبياء كإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام مع أقوامهم، فهذه الحوارات، رغم أنها تاريخية، تعمل كخطاب غير مباشر لأهل الكتاب في زمن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لتُظهر لهم أن جوهر رسالة الأنبياء واحد، وأنهم قد ضلوا عن تعاليم أنبيائهم.

قول عيسى عليه السلام في التوحيد :يُسجل القرآن على لسان المسيح عليه السلام دعوته الصريحة لبني إسرائيل إلى عبادة الله وحده، وتأكيده أنه ربهم وربه .قوله تعالى **وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** سورة المائدة، الآية 72 .هذا الخطاب من عيسى عليه السلام هو حجة قرآنية دامغة على النصارى، تُبطل عقيدة التثليث من جذورها وفقًا لشهادة نبيهم نفسه. إنه خطاب غير مباشر يؤكد أن جوهر رسالة عيسى عليه السلام كان التوحيد الخالص، وأن الغلو فيه ورفعه إلى مقام الألوهية يُعد شركًا، وهو ما يُحرم الجنة. هذا يُظهر تناقضهم مع تعاليم نبيهم، ويُعيدهم إلى الأساس الذي غاب عنهم.

.3الإشارات إلى سنن الله الكونية والتاريخية: دعوة للتفكر والاستنتاج

يُقدم القرآن الكريم العديد من الآيات التي تتحدث عن **سنن الله** في الخلق، والكون، وفي مصائر الأمم. هذه الإشارات تُعد خطابًا غير مباشر لأهل الكتاب وغيرهم من البشر، تدعوهم إلى التفكر والاعتبار، والوصول

[1] ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. الطبعة الثانية، بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1999م.ص133

إلى الإيمان بالله الواحد من خلال الأدلة الكونية المبثوثة في الآفاق وفي أنفسهم، أو من خلال تتبع عواقب الكفر والعصيان في التاريخ البشري. هذا الأسلوب يُحرك العقل والضمير دون أمر مباشر، ويُعلق الأمر باستنتاج الحقيقة على المتلقي.

التحدي بالإتيان بمثل القرآن :القرآن يتحدى الجن والإنس جميعًا، بمن فيهم أهل الكتاب الذين لديهم علوم وكتب ومعرفة سابقة بالرسالات، بأن يأتوا بمثل القرآن. هذا التحدي لم يأتِ بصيغة "يا أهل الكتاب، أنتم عاجزون"، بل بصيغة التحدي المطلق .قوله تعالى :**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** سورة الإسراء، الآية 88 .هذا التحدي موجه لكل البشر، بما فيهم أهل الكتاب الذين لديهم علوم وكتب. إنه ليس خطابًا مباشرًا بالاتهام، بل تحدٍ مفتوح يُثبت عجزهم، ويدعوهم إلى التسليم بإعجاز القرآن كمصدر إلهي، وبالتالي الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم. إن عجزهم عن هذا التحدي يُعد برهانًا غير مباشر على صدق القرآن.

وصف عاقبة الظالمين والمكذبين بشكل عام :عندما يتحدث القرآن عن هلاك الأمم السابقة بسبب ظلمهم وتكذيبهم، فإن هذا يُعد تحذيرًا غير مباشر لأهل الكتاب بأن نفس المصير قد ينتظرهم إذا استمروا في كفرهم وعنادهم، حتى وإن لم تُذكر أسماؤهم صراحة.

وصف عاقبة الظالمين والمكذبين بشكل عام :عندما يتحدث القرآن عن هلاك الأمم السابقة بسبب ظلمهم وتكذيبهم، فإن هذا يُعد تحذيرًا غير مباشر لأهل الكتاب بأن نفس المصير قد ينتظرهم إذا استمروا في كفرهم وعنادهم، حتى وإن لم تُذكر أسماؤهم صراحة. .فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد سورة الحج، الآية 45 .إن في ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ۚ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود سورة هود، الآية 103 .هذه الآيات تُقدم دلائل تاريخية على سنن الله في إهلاك الظالمين والمكذبين. إنها تُخاطب العقل البشري بشكل عام، وتدعوه إلى استخلاص العبر، وتُشكل تحذيرًا غير مباشر لأهل الكتاب الذين تشابهت أفعال بعضهم مع أفعال الأمم الهالكة، وتُعلق النجاة على الاستجابة للحق والابتعاد عن الظلم[1].

.4أسلوب التورية والإشارة الخفية: دفع للتأمل وكشف للحقيقة

يُمكن أن يستخدم القرآن التورية أو الإشارات التي لا تُصرح باسم المخاطب مباشرة، ولكنها تُفهم من سياق الآيات أو من معرفة المتلقي بأحوال أهل الكتاب وصفاتهم أو ادعاءاتهم. هذا الأسلوب يُثير الفضول

[1] الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر. البرهان في علوم القرآن. دار المعرفة، بيروت، لبنان. 1957م. ج1، ص 271.

ويحث على التأمل في المعنى الخفي، ويُجبر المخاطب على مواجهة حقيقة نفسه دون توجيه اتهام مباشر قد يُثير النفور.

وصف "الذين غضب الله عليهم" و"الضالين": في سورة الفاتحة، يُدعى المسلمون لطلب الهداية وتجنب سبيل "المغضوب عليهم" و"الضالين ."صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين سورة الفاتحة، الآية 7 .المفسرون أجمعوا على أن "**المغضوب عليهم** "هم اليهود، و**"الضالين"** هم النصارى. هذا ليس خطابًا مباشرًا لهم، بل هو تعليم للمسلمين، لكنه يحمل في طياته إشارة واضحة إلى حال اليهود في غضب الله عليهم بسبب نقضهم للعهود وتحريفهم للكلم عن مواضعه، وحال النصارى في الضلال عن الحق بسبب غلوهم في دينهم. هذا التلميح يُعد خطابًا غير مباشر يهدف إلى بيان حقيقة انحراف الطائفتين دون مواجهة مباشرة في هذا السياق.

الحديث عن "الذين بدلوا القول" و"الذين ظلموا :"فبدل الذين ظلموا قولًا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزًا من السماء بما كانوا يفسقون سورة البقرة، الآية 59 .هذه الآية تتحدث عن "الذين ظلموا" بشكل عام، لكن السياق التاريخي للآيات التي تسبقها وتليها (مثل قصة دخول القرية) يُشير بوضوح إلى بني إسرائيل. هذا أسلوب غير مباشر يُعمم العبرة ويُبين أن الظلم وتبديل الكلمة هي سمة متكررة في بعضهم، ولكنه يوجه أصبع الاتهام إلى الفئة المقصودة دون تسميتها صراحة في كل موضع، مما يدفعهم إلى التأمل في سلوكهم.

.5التركيز على الدوافع الكامنة: كشف النفاق والحسد

يتجاوز القرآن الكريم مجرد الحكم على الأفعال الظاهرة لأهل الكتاب، ليُقدم وصفًا دقيقًا لبعض السمات الأخلاقية والنفسية الكامنة فيهم، خاصة **النفاق** و**الحسد** وإظهار خلاف ما يُبطنون من الكفر. هذا الوصف، وإن لم يكن نداءً مباشرًا، فهو خطاب غير مباشر يُفضح طريقتهم في التعامل مع الحق ويكشف دوافعهم الخفية التي تُعيقهم عن الإيمان. هذا الأسلوب يُحذر المسلمين من مكائدهم، وفي نفس الوقت يُعد توبيخًا غير مباشر لهم[1] .

كشف الحسد ودوافع رد المؤمنين عن دينهم: يُصور القرآن الكريم حالة الحسد المتأصلة في قلوب الكثير من أهل الكتاب، والدافع وراء رغبتهم الشديدة في رد المؤمنين عن دينهم إلى الكفر والضلال. هذا الحسد ليس مبنيًا على جهل، بل على معرفة ويقين بالحق الذي تبين لهم .ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ۖ فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره

[1] السيوطي، مرجع سابق، ص 206

ۖ إن الله على كل شيء قدير سورة البقرة، الآية 109 .هذه الآية تُخاطب المسلمين بشكل مباشر (فاعفوا واصفحوا)، لكنها في ذات الوقت تكشف عن حقيقة خفية ومؤلمة تتعلق ببعض أهل الكتاب: وهي أن دافعهم لرد المسلمين عن دينهم ليس طلبًا للحق، بل هو **حسد محض** نابع من أنفسهم، بعد أن تبين لهم الحق وظهرت دلائله. هذا الكشف عن الدوافع الخفية هو شكل من أشكال الخطاب غير المباشر الذي يفضح مكنونات النفوس ويُحذر المسلمين من مكائدهم، ويُعد في نفس الوقت توبيخًا لأهل الكتاب بأنهم يُعرضون عن الحق مدفوعين بالغل والحسد بدلًا من طلب الهداية.

وصف اليهود بأنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين :لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ۖ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارىٰ ۚ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانًا وأنهم لا يستكبرون سورة المائدة، الآية 82 .هذه الآية ليست نداءً مباشرًا "يا يهود"، بل هي إخبار للمؤمنين عن طبيعة العلاقة مع فئات مختلفة من أهل الكتاب والمشركين. لكنها تحمل في طياتها خطابًا غير مباشر لليهود، تُشير إلى مدى عنادهم وعداوتهم المستحكمة للإيمان الحق، وتضعهم أمام حقيقة سلوكهم العدائي الذي لا يقبلون فيه بالحق، على عكس بعض النصارى. هذا الوصف، المستند إلى علم الله، هو حجة عليهم في رفضهم المتواصل للحق، ويُظهر أن عداوتهم ليست مجرد اختلاف في الرأي بل هي عداوة متجذرة[1].

إن تحليل الخطاب القرآني غير المباشر الموجه لأهل الكتاب يُبرز العبقرية البلاغية والمنهجية التشريعية للقرآن الكريم. فهو لا يكتفِي بإقامة الحجة الظاهرة، بل يتعمق في كشف الجوانب النفسية والتاريخية التي تؤثر في موقفهم من الحق. هذا الأسلوب يُعمق المعنى، ويُثير التدبر، ويُقدم العبر من خلال سرد القصص التاريخية لأجدادهم، وضرب الأمثال التي تنطبق عليهم، وكشف الدوافع الخفية كالحسد والنفاق، كل ذلك بطريقة لا تُلقي التهمة مباشرة بل تُدفع المخاطب إلى استنتاج الحق بنفسه. هذا التكامل بين الأساليب، وتنوعها بين التوبيخ والتحذير، يجعل القرآن حجة دائمة وشاملة، قادرة على مخاطبة العقول والقلوب على اختلاف مشاربها، ويُرسخ رسالة الإسلام كدين يكمل الرسالات السابقة ويُصحح انحرافاتها، داعيًا الجميع إلى التوحيد الخالص لله رب العالمين. هذا المنهج القرآني الشامل هو ما يميزه ويجعله كتابًا صالحًا لكل زمان ومكان.

خلاصة

[1] ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. الأمثال في القرآن الكريم. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. 1996م. ص 67

يُظهر الحوار القرآني مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) براعة بلاغية فائقة، تتجاوز مجرد الإخبار لتكون أداة فعّالة في الدعوة والإقناع. القرآن يستخدم أساليب بلاغية متعددة لاستهداف فئات مختلفة من أهل الكتاب وتقديم الحجة الدامغة لهم.

تتجلى هذه الأساليب في استخدام الاستفهام البلاغي الذي لا يطلب إجابة بل يدفع المخاطب للتفكير العميق في معتقداته. كما يُلاحظ كثرة النداءات التي تُوجه إليهم، والتي تهدف إلى لفت انتباههم وشدهم إلى جوهر الرسالة. يعتمد القرآن أيضًا على الجدل باللتي هي أحسن، مقدمًا الحجج المنطقية والعقلية التي تستند أحيانًا إلى ما لديهم من كتب سابقة، مما يجعل الحوار بناءً ومركزًا على المشتركات قبل بيان الفروق.

لا يقتصر الأمر على الإقناع الفكري، بل يمتد ليشمل التصوير الفني الذي يجسد المعاني المجردة ويجعلها حية في الأذهان، بالإضافة إلى التكرار والتأكيد على بعض الحقائق لترسيخها. هذه التوليفة البلاغية المتكاملة تُبرز الإعجاز القرآني في مخاطبة العقول والقلوب، وتقديم الدعوة الإلهية بأسلوب يجمع بين قوة الحجة وجمال التعبير، ليُثبت أن رسالة الإسلام شاملة ومقنعة لكل من يبحث عن الحق.

خاتمة

في ختام هذه الرحلة البحثية المتعمقة، التي غصنا فيها في أعماق حوار القرآن الكريم لأهل الكتاب دراسة أسلوبية بلاغية، يتجلى لنا بوضوح أن القرآن ليس مجرد كتاب هداية دينية، بل هو نص معجز في بيانه، فريد في أسلوبه، يتجاوز كل الحدود الزمانية والمكانية ليخاطب العقول والقلوب على مر العصور. لقد سعينا جاهدين من خلال هذه الدراسة إلى الكشف عن جانب من جوانب هذا الإعجاز البلاغي، مُسلطين الضوء على كيفية توظيف القرآن الكريم لأدواته اللغوية والبيانية الراقية في مخاطبة فئة محددة من البشر، ألا وهم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

لقد أثبتت هذه الدراسة أن الخطاب القرآني لأهل الكتاب لم يكن خطابًا أحادي النبرة، أو مجرد سرد تاريخي للوقائع، أو حتى لومًا مباشرًا ومجردًا. بل كان منهجًا دعويًا متكاملًا، يتسم ببراعة فائقة في توظيف الأساليب البلاغية المتنوعة، والتي أضفت على الحوار عمقًا وبعدًا وتأثيرًا فريدًا. لقد رأينا كيف أن القرآن، بنسيجه اللغوي المعجز، استطاع أن يخاطب أهل الكتاب بأساليب تجمع بين الحجة الدامغة والموعظة الحسنة، وبين القصص القرآني المعبر الذي يحمل العبر والدروس، والأسئلة الاستنكارية والتوجيهية التي تحفز على التفكير والتدبر، والنداءات المباشرة التي تلامس الوجدان وتستثير الضمائر. هذا التنوع البلاغي لم يكن مجرد زينة لفظية أو ترف بياني، بل كان ضرورة ملحة تفرضها طبيعة المخاطبين وتعدد شبهاتهم، واختلاف تصوراتهم ومعتقداتهم حول الحقائق الإلهية. فالقرآن أظهر قدرة فائقة على تفكيك هذه المعتقدات، وتفنيد مزاعمهم، ودحض حججهم الواهية، وتقديم البديل الحق، داعيًا إياهم إلى الرجوع إلى الحقائق الأصلية التي جاءت بها رسالات الأنبياء السابقين، ومؤكدًا على وحدة الرسالة الإلهية، والتوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى، ونبذ كل أشكال الشرك والانحراف.

إن الأساليب البلاغية التي تم تحليلها في هذه الدراسة، سواء كانت صورًا بيانية كالتشبيه والاستعارة والكناية والمجاز، التي تُجسم المعاني وتُقربها إلى الأذهان، أو أساليب خطابية كالمباشر وغير المباشر، التي تتلون بحسب مقام المخاطب وحالته النفسية والفكرية، قد أظهرت جميعًا كيف أن كل كلمة وحرف في القرآن له دلالته العميقة ومقصده السامي. لقد تجلى لنا كيف أن الجمال اللفظي يتضافر مع عمق المعنى ليشكلا معًا إعجازًا لا يُضاهى، يُثبت أن هذا الكتاب ليس من صنع بشر. إن اختيار سورة يوسف كنموذج للصور البيانية، على الرغم من أن السورة لا تختص بالضرورة بخطاب مباشر لأهل الكتاب، إلا أنها تبرز بوضوح لا لبس فيه القدرة البيانية الفائقة للقرآن في السرد القصصي، وتصوير الأحداث، وتجسيد المعاني، وهي قدرة تتجلى في جميع خطاباته بما فيها حواره مع أهل الكتاب، وتؤكد على أن القرآن في كل سوره وآياته ينهل من معين بلاغي واحد.

في الختام، نأمل أن تكون هذه الدراسة قد أسهمت ولو بقدر يسير ، وقدمت رؤى جديدة وعميقة حول الأبعاد الأسلوبية والبلاغية في حوار القرآن الكريم لأهل الكتاب. كما نأمل أن تفتح هذه الدراسة آفاقًا أوسع لأبحاث مستقبلية تستكشف جوانب أخرى من بلاغة القرآن العظيم، وتُسهم في فهم أعمق لرسالته الخالدة التي تتجاوز حدود الزمان والمكان لتضيء دروب البشرية جمعاء. إن تدبر القرآن الكريم، ليس فقط لفهم أحكامه وتشريعاته، بل لاستكشاف إعجازه البياني الذي يُثبت أنه كلام الله، والوقوف على أسرار بلاغته التي تُبهر العقول وتُثري النفوس، هو مهمة لا تنتهي، بل هي رحلة معرفية وروحية متجددة. وكل دراسة تُضاف لهذا المجال هي بمثابة لبنة جديدة في صرح المعرفة والإيمان، تقربنا أكثر من فهم هذا الكتاب المعجز

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

أولا: المصادر:

- القران الكريم

ثانيا: المراجع :

1. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر .**الأمثال في القرآن الكريم** .دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996م.

2. ابن عاشور، محمد الطاهر .**التحرير والتنوير** .الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.

3. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل .**تفسير القرآن العظيم** .الطبعة الثانية، دار طيبة للنشر والتوزيع، بيروت، 1999م.

4. ابن منظور، محمد بن مكرم .**لسان العرب** .الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، 1990م .وكرر

5. أبو العدوس، يوسف محمود .**التشبيه والاستعارة في شعر محمود درويش** .دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002م.

6. أبو الوفاء، أحمد عبد الآخر .**المختار من علوم القرآن** .ج 1، دار اللؤلؤة، القاهرة، 2000م.

7. أحمد بن محمد طاحون .**مع القرآن الكريم** .دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، 1986م.

8. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله .**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** .دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1419 هـ / 1999 م.

9. أمين، بكري شيخ .**البلاغة العربية في ثوبها الجديد** .ج 2، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م.

10. بباوي، وليم وهبه .**دائرة المعارف الكتابية** .مج 8، دار الثقافة، القاهرة، 2000م.

11. جلال الدين السيوطي الشافعي .**الإتقان في علوم القرآن** .الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

12. الخازن، علي بن محمد .**لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن** .(دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، غالبًا ما تكون الطبعات الحديثة بعد عام 1990م.

13. الخطابي، أبو سليمان .**بيان إعجاز القرآن** .تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، 1953م.

14. الخطيب القزويني .**الإيضاح في علوم البلاغة – المعاني والبيان والبديع** .الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، 1992م

15. الخلف، سعود بن عبد العزيز .**دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية** .الطبعة الرابعة، ج 1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1425 هـ / 2004 م.

16. ربيعي، محمد علي عبد الخالق .**البلاغة العربية وسائلها وغايتها في التصوير البياني** .دار المعرفة الجامعية، مصر، 1987م.

17. زرزور، عدنان محمد .**علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه** .المكتب الإسلامي، بيروت، 1974م.

18. الزرقاني، محمد عبد العظيم .**مناهل العرفان في علوم القرآن** .ج 1، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، 1963م

19. الزركشي، بدر الدين .**البرهان في علوم القرآن** .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1957م .

20. الزمخشري، محمود بن عمر .**الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** . دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1987م.

21. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر .**مفتاح العلوم** .دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2000م.

22. السموك، سعدون محمود .**مقارنة الأديان** .الطبعة الأولى، دار وائل، الأردن، 2008م.

23. السواح، فراس .**موسوعة تاريخ الأديان** .ترجمة: عبد الرزاق العلي ومحمود منقذ الهاشمي، مج 5، دار التنوير، بيروت، 2018م.

24. السيوطي، جلال الدين .**الإتقان في علوم القرآن** .تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م .

25. شهاب الدين عبد الرحمن .**المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز** .دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2003م.

26. الصابوني، محمد علي .**التبيان في علوم القرآن** .دار الصابوني، دمشق، 1978

27. الصالح، صبحي .**مباحث في علوم القرآن** .ج 1، دار العلم للملايين، لبنان، 1977م.

28. طاحون، أحمد بن محمد .**مع القرآن الكريم** .رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، 1998م.

29. الطبري، محمد بن جرير .**جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري** .(تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، 2000م.

30. عبد الرزاق، حسن إسماعيل .**البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع** .الطبعة الأولى، مكتبة الآداب، القاهرة، 2000م.

31. العقل، ناصر والقفاري، ناصر .**الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة** .الطبعة الأولى، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1413 هـ / 1992 م.

32. فريد، عائشة حسين .**البيان في ضوء الأساليب العربية** .دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر، 2005م.

33. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب .**القاموس المحيط** .ج 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005م.

34. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري .**الجامع لأحكام القرآن** .الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، 1964م.

35. القطان، مناع .**مباحث في علوم القرآن** .مكتبة وهبة، القاهرة، 2000م .*وكرر أيضًا*: مناع القطان . **مباحث في علوم القرآن** .ج 1، مكتبة وهبة، القاهرة، 1995م.

36. القنوجي، محمد صديق خان .**فتح البيان في مقاصد القرآن** .المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، غالبًا ما تكون الطبعات الحديثة بعد عام 1990م.

37. لحمد، محمد .**رسائل في الأديان والفرق والمذاهب** .دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2015م.

38. المالكي، محمد بن عيسى بن إسماعيل .**المذاهب والديانات في ميزان الإسلام** .دار الوطن للنشر، الرياض، 1999م.

39. المراغي، أحمد مصطفى .**علوم البلاغة** .دار الكتب العلمية، بيروت، 1993م .

40. المسيري، عبد الوهاب .**الموسوعة اليهود واليهودية والصهيونية** .مج 5، دار الشروق، 1999م.

41. معلوف، لويس .**المنجد في اللغة** .دار الشروق، لبنان، 1976م.

42. النووي، يحيى بن شرف .**شرح صحيح مسلم** .ج 18، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1972م.

الفهرس

شكر وتقدير	–
الإهداء	–
مقدمة	أ
الفصل الأول: القرآن وأهل الكتاب تمهيد	01
المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم.	03
المطلب الأول: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحا.	03
المطلب الثاني: تاريخ التنزيل	07
المبحث الثاني: التعريف بأهل الكتاب.	11
المطلب الأول: تعريف اليهود.	11
المطلب الثاني: تعريف النصارى	15
خلاصة	18
الفصل الثاني: الأساليب البلاغية في الحوار القرآني لأهل الكتاب	20
المبحث الأول: الصور البيانية في الحوار القرآني لأهل الكتاب "سورة يوسف" نموذجا	22
المطلب الأول: المجاز والكناية	23
المطلب الثاني: التشبيه والإستعارة	28
المبحث الثاني: أساليب الخطاب القرآني.	31
المطلب الأول: الأسلوب المباشر	32
المطلب الثاني: الخطاب غير المباشر	38
خلاصة	46
خاتمة	47
قائمة المصادر والمراجع	50